

30

دوايات عالمة الحب للحبيب

Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة

توزيع وفنن والفوزيع
Boutique - Beirut - Lebanon
فونن ١٩٩٩

قصة : دافني بو مورييه
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

لا تنظري الآن!

المؤلف

لما كنا قد وصلنا
بسلام ونجاح إلى
الكتيب الثلاثين ؛ فقد
حان الوقت لنقدم قصة
متميزة على سبيل
الاحتفال ، وكما فعلنا في
الكتيب العشرين .



(لا تنظري الآن) مجموعة قصصية ممتعة لكاتبة
إنجليزية عظيمة الشهرة ، هي (دافنى دومورييه) ..
وقد لا يعرف البعض الاسم لكنهم - بالتأكيد - شاهدوا
فيلم (الطيور) و (ربيكا) عن قصتين شهيرتين لها ،
والقصتان قدمهما سيد التشويق (ألفريد هتشكوك)
وإن كان - باعترافه - قد تحرر كثيراً جداً من النص
الأصلي .. فعادته هي أن يقرأ الرواية مرة واحدة فقط ،
ثم ينساها تماماً ، ويشرع في إخراج الفيلم بطريقة
الخاصة !

روايات عالمية للحب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمى ، فى مختلف صنوفه ..
من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..
من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..
ومن الشرق إلى الغرب ..
وإلى الحضارة ..
وإليك ..

د. نبيل فاروق

ولدت (دافنى دومورييه) فى (لندن) عام ١٩٠٧ ،
وتلقت تعليمها فى البيت مع شقيقاتها ، وفى سن
الثامنة عشر كتبت أولى مجموعات القصصية التى
تحمل اسم (شجرة التفاح) ، والتى لم تنشر إلا عام
١٩٥٢ .

وفى عام ١٩٣٢ تزوجها الميجور جنرال (فرديك
براوننج) ، وعاشا فى (كورنويل) حيث رزقا
بثلاثة أطفال ..

فى عام ١٩٣٦ قدمت لنا (حانة جامايكا) التى
حققت نجاحها الأدبى .. وتحكى عن المهربين فى
ساحل (كورنويل) ، وقد كافأ (ألفريد هتشكوك)
هذه الرواية بأن أخرجها للسينما عام ١٩٣٩ ..

وجاءت قصة (ربيكا) عام ١٩٣٨ لتتوج شهرتها (*) ..
وفى عام ١٩٤١ قدمت لنا (نهر فرنشمان) ، وهى
رواية شهيرة بدورها ..

(*) كتبت (دافنى) ربع هذه الرواية فى مصر ، حيث كان
زوجها ضابطاً هناك ..

يقول النقاد : إن أسلوب (دافنى دومورييه) شديد
الميلو درامية ، وإبها لم تقدم أعمالاً أدبية جادة ،
وإنما أعمالاً مسلية لا أكثر ..

والحق إن (دافنى) قد برهنت عن براعة شديدة
كمكاتبة غموض وكاتبة تشويق ، خاصة فى قصصها
الشهيرة (ابنة عمى راشيل) و (الطيور) و (موعد) ..
ثم القصة الحالية (لا تنظرى الآن) التى كتبتها عام
١٩٧١ ، وتعكس اهتماماً شديداً بما وراء الطبيعة ..
وقد توفيت (دافنى) عام ١٩٨٩ بعد ما صارت
علامة من علامات الأدب الإنجليزى المعاصر ..

لا تنظري الآن



أهم أعمال (دافني دومورييه) :

- الروح المحبة (١٩٣١) .
- لن أعود شابًا ثانية (١٩٣٢) .
- حانة جامايكا (١٩٣٦) .
- ربيكا (١٩٣٨) .
- الجبل الجائع (١٩٤٣) .
- جنرال الملك (١٩٤٦) .
- الطفيليات (١٩٤٩) .
- ابنة عمي راشيل (١٩٥١) .
- طيران الصقر (١٩٦٥) .

ومن مجموعات قصصها القصيرة :

- شجرة التفاح (١٩٥٢) .
- هلمى ياريج .. هلم يا طقس (١٩٤٠) .
- قصص مبكرة (١٩٥٩) .
- نقطة الانهيار (١٩٥٩) .
- لا تنظري الآن (١٩٧١) .
- الموعد (١٩٨١) .

- « لا تنتظري الآن »

قالتها (جون) لزوجته - « .. لكن هناك فتاتين عجوزين على بعد منضدتين منا ، تحاولان تنويمى مغناطيسيا .. »

على الفور تظاهرت (لورا) بالتثاؤب ، وميلت رأسها كأنما تفتش فى السماء عن طائرة لا وجود لها ..

- « خلفك بالضبط » - أضاف - « لهذا لا يمكنك الاستدارة حالا .. سيكون هكذا واضحا أكثر من اللازم .. »

لعبت (لورا) أقدم لعبة فى العالم ، وأسقطت منشفتها ثم انحنت لتلتقطها ، وأرسلت نظرة خاطفة من فوق كتفها الأيسر وهى تعدل ثابية .. وعلى الفور بدت عليها أول علامات الهستيريا المكبوتة ، وهمست :

- « ليستا فتاتين بل هما توعمان ذكران متنكران .. »
كان صوتها يوحى بنذير نوبة ضحك لا تتحكم فيها ، فصب لها بعض الشراب وقال لها :

- « تظاهرى بأنك تشرقين ، حتى لا تلاحظا

ضحكك » ، أنا الآن أعرف من هما .. إنهما مجرمان يتنزهان فى أوروبا ويغيران جنسهما فى كل لحظة ..
اليوم شقيقتان فى (تورسلو) وغدا شقيقان فى (فينيسيا) فقط يبدلان الثياب والجمتين .. »

- « لصا مجوهرات أم قاتلان ؟ »

- « آه ! قاتلان حتما .. لكننى أتساءل ، ترى هل لاحظتى ؟ »

قاطعهما الساقى إذ جلب القهوة ، ووضع الفاكهة أمام (لورا) مما ساعدها على كتم عاصفة الضحك ..
وسألته :

- « إننى أتساءل كيف لم نلاحظهما قبل الآن ؟
إنهما طويلتا القامة ، وعسير أن تفشل فى ملاحظتهما .. »

- « هذه المجموعة من الأمريكان ، والرجل الملتحي ذو (المونوكل) الذى يبدو كالجواسيس ..
لقد كانوا يحجبونهما عنا .. رباه ! ذات الشعر الأبيض ترمقى ثابية ! »

أخرجت (لورا) علبه مساحيقها ، ووضعتها أمام وجهها لتعص شرآة كعاكس ..

وقالت :

- « يبدو أنهما تنظران لى لا لك .. لحسن الحظ
أننى تركت لآلئى لدى مدير الفندق »

وبالمسحوق لطخت خديها .. ثم قالت :

- « لقد فهمنا خطأ .. إنهما ليستا لصتين .. يبدو لى
أنهما ناظرتا مدرسة طبيبتان فى إجازة ، وقد ادخرتا
كل مليم فى حياتهما كى تزورا (فينيسيا) .. لا بد
أنهما جاءتا من مكان يدعى شيئاً كـ (والاباتجا) فى
(أستراليا) ، ولا بد أن اسميهما (تيلى) و (تينى) .. »

قال لنفسه : أخيراً بدأت تنتصر .. لو استطعت
الحفاظ على هذا ، ولو استطعنا أن نتبادل النكات ،
ونمارس التخيلات السخيفة بصدد القوم من حولنا ،
أو نمضى ما بين متاحف الفنون ؛ عندها سيستقر
كل شيء .. وسيلتئم الجرح وتعود الحياة لما كانت
عليه .. ستتسى ..

قالت (لورا) :

« أعلم ؟ كان هذا غداءً طيباً جداً ، وقد استمتعت
به حقاً .. »

حمداً لله .. حمداً لله .. ثم انحنى للأمام وبصوت
هامس متأمر قال :

- « إن إحديهما ذاهبة لدورة المياه .. أتظنين أنها
ستبدل جمتها هناك ؟ »

- « لا تقل شيئاً .. سأتابعها لأرى ما سيحدث .. »
وراحت تزوم فى رضا .. رأى المرأة تنهض
قاصدة الحمام ، وكانت لها ملامح نسرية قوية ،
طويلة القامة ، تعقص شعرها على الموضة الشائعة
فى أيام أمه ، ترتدى قميصاً رجولياً وربطة عنق
وسروالاً من (التويد) ..

كانت هى وأختها توعمين تم نحتهما بنفس القالب ،
والفارق الوحيد بينهما هو أن شعر الأخرى أكثر
بياضاً ..

نهضت (لورا) لتلحق بالمرأة ، وقالت :

- « المهم ألا تضحك حتى لا أضحك بدورى ..
تذكر حين أعود ألا تنظر لى حتى لو جئت معها .. »
- « خذى الحذر .. فلربما تحمل حقة مخدرة
تفرغها فى جسدك .. »
واتصرفت لاحقة بفريستها ..

جلس وحده يدخل ، ويختلس النظر إلى الأخت الأخرى ..

الحمد لله .. لربما كانت هذه العطلة هي ما تحتاج إليه (لورا) .. لربما قضت على اليأس الذي أحاط بها منذ ماتت طفلتها .. لقد قال له الطبيب :

- « إنها ستقهر الألم .. كلهن يقهرنه بعد حين .. »
قال (جون) :

- « نعم .. لكن الطفلة كانت تعنى كل شيء لديها من البداية .. إن ابننا في سن المدرسة الآن ويعرف كيف يدبر أموره .. لكن (لورا) كانت تهيم بها حبا .. »

- « كلاهما صغير وسيكون لديكما أطفال آخرون »
كلام سهل .. كيف تستبدل بحياة طفل محبوب حتماً ؟ إن الطفلة القادمة ستكون لها ذاتيتها المختلفة وخصائصها المتفردة .. ستنام في الفراش الذي كانت (كرستين) تنام فيه ، لكنها لن تكون أبداً ذلك الملاك الشمعي ذا الشعر الأسود الذي رحل ..

كانت المرأة ترمقه في ثبات الآن .. نظرة مليئة بالتركيز تخترقه لتشعره بعدم الراحة .. سحقاً للنساء !

فلتتظري لي شذراً كما تريد .. هذه لعبة يلعبها اثنان .. ونفخ سحابة دخان في الهواء ..

في النهاية لم يستطع تحمل عينيها الزرقاوين ، فأشاح بنظره واستدار يطلب الفاتورة من الساقى .. لكنه ظل يشعر بوخز عينيها في مؤخرة رأسه .. نظر إلى ساعته .. لقد تأخرت (لورا) كثيراً .. عشر دقائق على الأقل ..

ثم سمع صوت خطوات .. هذه التوهمة عائدة إلى المنضدة حيث أختها ، وكانت تقول ما لم يفهمه .. ما هذه اللكنة ؟ ألسكتلندية هي ؟

رأها تمذ يدها لتساعد أختها على النهوض ، ثم تحركتا عبر الحديقة كي تبتعدا عن عينيها ..

جاءت (لورا) أخيراً بعد ما نفذ صبره ، فقال لها :

- « حسن .. يجب الاعتراف بأنك أخذت وقتك .. »
ثم توقف حين رأى ذلك التعبير على وجهها :

- « ماذا هناك ؟ ماذا حدث ؟ »
كانت مصدومة .. تأرجحت لتجلس إلى المائدة ، فسألها :

- « ماذا ؟ هل أنت مريضة ؟ »
رفعت وجهها ، وتعبير حائر غريب على وجهها :

- « إنه رائع .. أروع شيء يمكن أن يكون .. إنها ليست ميتة بل هي معنا ! لهذا كانتا تحديقان فينا .. كان بوسعهما أن تريا (كرستين) ! »
رباه ! هذا ما كنت أخشاه .. لقد جئت ! ماذا أفعل ؟
افتعل ابتسامة وقال :

- « هيا بنا يا عزيزتى .. أما أن أن نرحل ؟ لقد دفعت الفاتورة ، ويمكننا الآن الذهاب لرؤية الكاتدرائية ، ويمكننا أن نركب (اللش) إلى (فينيسيا) .. »
لم تكن تصفى لكلامه ، ولم يخرق صوته
انبهارها .. قالت :

- « يجب أن أحكى لك .. لقد تبعت العجوز إلى دورة المياه فوجدتها تفسل يديها فى الحوض ، وفجأة استدارت وقالت لى بلهجة سكوتلاندية قوية : لا تكونى تعسة ثانية .. لقد رأت أختى طفلتك الصغيرة ، جالسة بينك وبين زوجك وهى تضحك ! وربت على رأسى مطمئنة .. آه يا (جون) !

لا تبد كهذا ! أقسم أننى لا أخلق ما أقول .. »
كان صوتها الملهوف يجعل قلبه يثب إلى فمه ..
يجب أن يهدئها وأن يظهر تصديقه لها ..

- « إننى سعيدة يا (جون) سعيدة .. كنت أموت كمداً طيلة هذه الأسابيع ، لكننى كنت أدلرئ هذا عنك .. الآن زال الكمد لأننى أعرف أن المرأة محقة .. كم هو رائع من .. لقد نسيت اسمها .. إنها طبيبة متقاعدة جاءت من (إنبرة) ، أما من رأت (كرستين) فهى كفيفة منذ أعوام .. وكانت تدرس ما فوق الطبيعة ولها قوى نفسية معينة ، لكنها صارت وسيطة حقة حين أصابها العمى .. لقد وصفت (كرستين) بدقة حتى الفستان الأزرق ذى الأكمام الوردية الذى كانت ترتديه فى عيد ميلادها .. »

والتقطت المنديل وتمخطت ، وقالت :

- « هى بخير .. وليس علينا أن نقلق .. »
قال لنفسه : لو كان هذا الشعور يسعدها فلن أرفضه .. لكننى أتمنى لو لم يحدث أساساً .. إن هناك شيئاً منفراً فى قراءة الأفكار وتوارد الخواطر ، ولا أحد يجد له تفسيراً ..

سألها متظاهراً بعدم القلق :

- « أنت لم ترتبى مقابلتهم ثانية .. أليس كذلك ؟ »
- « ولماذا يا عزيزتى ؟ لم يكن لديهما ما هو أكثر

لتخبراني به .. ولسوف ترحلان فوراً لتواصل رؤية
العالم .. يا للعزيزتين ! إنهما أي شيء سوى لصتي
جواهر أو قاتلتين !
ونهضت قائلة :

- « هلم ! ما دمنا في (تورسيلو) فيجب أن نرى
الكاتدرائية .. »

واتجهنا معاً إلى قرب المرفأ ، حيث كانت المعديّة
تنزل مجموعة جديدة من السياح ، ومشياً إلى
(سانتا ماريا أسونتا) .

راحا يتأملان الكاتدرائية .. يتفحصان النقوش
والرسوم على الجدران ، لكنه لم يستطع الاستمتاع
خاصة أن الزحام جعل التذوق الفني مستحيلاً .. ولم
يمن قلبه الجمال البالغ الذي رآه .

رفع عينيه نحو الباب ، ففوجئ بالشقيقتين هناك ..
كانت العمياء تتمدك بذراع أختها وهي تتبعها .. شعر
بشلل كامل يغمره .. هذه هي النهاية .. لا مفر ..
لا مستقبل .. شعور غريب غمره وزال سريعاً ..
هاتان المجرمتان تمارسان نوعاً غريباً من الحياة :
تجولان حول العالم لتشعرا الناس بعدم الراحة ..

شعر بـ (لورا) تجذب كمة :
- « أليست جميلة ؟ أليست هائلة ؟ »
- « من ؟ ! »

- « الـ (مادونا) في الصورة .. إن لها سحراً
يخترقك .. »

- « أ .. أعتقد ذلك لكني لست متأكداً .. »
ثم دعاها في عصبية إلى الابتعاد بحجة شراء
بعض البطاقات الفنية .. وافتادها إلى طريق ضيق
خارج الكاتدرائية ، فقالت له :
- « لا أظن هذا الطريق يؤدي لمكان ما ، وهو
موجل كذلك »

في نفاذ صبر جذبها بعيداً ..
كان يتذكر (كرسيتين) قبل إصابتها بالالتهاب
السحائي المميت .. بالتأكيد كانت ستحب هذا المكان ..
ربما كانت ستخلع حذائيه لتركض جوار الماء مصيبة
أمها بالهلع ..
غاص قلبه في قدميه .. وتمنى ألا يرى الأختين
ثانية ..

كان (اللنش) الذي أحضرهما من (فينيسيا) ينتظر ..
وكل المسافرين قد احتشدوا فيه : الأمريكان والرجل

ذو (المونوكل) .. كل ما يريده الآن هو العودة إلى
(فينيسيا) ثانية ..

مضى القارب عبر القنال إلى البحيرة ..
وقالت له (لورا) وهي تريح رأسها إلى صدره :
- « كان يوماً جميلاً بحق ولسوف أذكره ما حييت .. »
ليكن .. ما دام هذا يجعلها سعيدة ..
الآن يريان روعة (فينيسيا) وسماؤها البراقة ،
وما زال بها الكثير مما ينتظر أن يرياه .. كان
فندقهما قريباً من (جراند كاتال) ، وهو فندق مريح ..
وابتسم لهما موظف الاستقبال وهو يعطيتهما المفتاح ..
كانت غرفتهما مريحة بدورها ، لكن لها طابع كل
غرف الفنادق الغريب .. هذه غرفتنا لفترة لكن ليس
بعد ذلك .. إذ نعيش فيها سنجلب لها الحياة ، وحين
نتركها لن توجد ثانية ، وتغيب في العدم ..
غادرا الفندق إلى الليل الدافئ الناعم ، والسحر
حولهما في كل صوب ..

- « لنمش حتى تتفتح شهيتنا للعشاء الهائل ! »
- « لكن ليكن رخيصاً .. فقد أنفقنا الكثير اليوم .. »
الجندولات تتراقص على الماء ، والكل يبحث عن
المتعة غير ذات الهدف ..

قال لها :

- « أين تتناولين العشاء ؟ »

- « ثمة مطعم قرب كنيسة (سان زاكاريا) ..
دعنا نقصده .. »

مشيا عبر (فوندامنتا ديلا أرسينالي) .. كانت
هناك حارتان ، إحداهما لليمين والأخرى لليسار ،
وتردد (جون) بصدد الاتجاه الأمثل .. ثم قرر أن
يمشيا في الحارة اليسرى ..

كان ممراً ضيقاً يطل على البحر .. وهو مكان دافئ
في الصباح ، لكنه في الليل بدا كنيهاً باتساً .. النوافذ
والأبواب كلها موصدة ، والظلام دامس ، والقوارب
المتراصة على المرفأ كأنها التوابيت ..

قالت (لورا) :

- « لا أذكر هذا المكان ولا أحبه .. »

- « أنا أعرف أين نحن بالضبط .. »

وعبرا جسراً صغيراً عندما سمعا صرخة .. جاءت
من أحد المنازل لكن أيها ؟ مستحيل أن تعرف ،
وهمست (لورا) :

- « ما كان هذا ؟ »

- « أحد السكارى .. هلمى .. »

لم تكن صرخة سكير ، بل هى شبيهة بصرخة رجل يتم خنقه ، وسرعان ما تلاشت ، إذ صارت قبضة الخائق أقوى ..

كانت تسبقه فى المشى ، وقد جذت فى سيرها .
ولاحظ (جون) شيئا صغيرا يخرج من بدروم أحد المنازل ثم يثب إلى قارب .. كانت طفلة . طفلة صغيرة لا تزيد على خمس سنوات ، ترتدى معطفا قصيرا فوق تنورتها ، وكنود يغطى رأسها ..

كانت تثب من قارب لآخر ، كأنها مصممة على الفرار .. وانزلت فى مرة فاحتبست أنفاسه ثم استردت توازنها .. فى النهاية ركضت فوق درجات منزل على الناحية الأخرى ، واختفت هناك ..

لم تكن (لورا) قد رأت شيئا من هذا ، وسره ذلك ..
لربما كان للمشهد - الذى له علاقة أكيدة بالصرخة - أثر مخيف على أعصابها ..

اتجهتا ببطء عبر الزقاق .. وكان يتظاهر بثقة لا يملكها ..
سألته :

- « لا صرخات أخرى .. أليس كذلك ؟ »

- « بلى .. كان شخصا سكيراً .. »

اخيرا وصلا إلى جسر آخر . وقد أدركا أنهما ضلّا الطريق حقاً . هنا لدهشته رأى أناسا يمشون فى شارع مضىء وصار المشهد مألوفاً .

قال لها :

- « كما قلت : هذه هى (سان زاكاليا) لا بد أن

مطعمك ليس بعيداً .. »

وشعر برضا لأنهما على الأقل سيريان الأضواء المبهجة والناس بعد كل هذا الصمت والظلام .. ورأى لافتة (ريسطوراتى) - مطعم - تضىء من بعيد ..
دخلا المطعم وسط الصخب وصوت الضحك ورائحة البسطرمة .. وكانت قائمة الطعام هائلة مكتوبة بحبر بنفسجى اللون ..

ووقف الساقى ينتظر ما سيطلبان ، وهنا نظر (جون) حوله فرأى التوعمين فى ركن القاعة !
لا بد أنهما وصلتا حالا لأنهما كانتا تنزعن معطفيهما والساقى يقودهما للمنضدة ..

لا بد أنهما كانتا تتبعانتهما .. لماذا اختارتا هذا
المطعم من كل (فينيسيا) ؟ ما لم تكن (لورا) قد
اتفقت معهما عليه .. هناك مطعم صغير قرب كنيسة
(سان زاكاريا) .. سنذهب هناك للعشاء ..

كانت (لورا) مشغولة بالقائمة ولم تر الأختين ،
لكنها سترفع رأسها في أية لحظة وتراهما .. بالفعل
نظرت عبر القاعة وأطلقت شهقة .. إنها صادقة ..
بالتأكيد صادقة ..

- « يا للعجب ! إنهما هنا ! العزيزتان .. لقد
رأتنا .. »

ولوحت بيدها مسرورة ، فاتحنت التوهمة المبصرة
وابتسمت وأعلنت (لورا) أنها ستتهض لتحيرهما ..

- « بحق السماء ! نحن لم نطلب عشاءنا بعد .. »
- « لن أتأخر أكثر من دقيقة .. »

ونفضت عابرة الغرفة ، وصافحتهما وجذبت مقعدا
خاليا لتجلس جوارهما .. وراحت تتكلم وتبتسم ..

- « لقد فسدت الأمسية ! »

فكر (جون) في ضيق .. ما كان يوشك أن يكون ليلة
بهيجة قد امتلأ الآن بروى الأرواح ، و (كرسيتين)

المتوفاة تقاسمهما المنضدة .. ياله من سخف ! ولو
كانت (كرسيتين) حية لكانت في الفراش منذ ساعات ..
كانت (لورا) تصفي ، والأخت المبصرة تتكلم في
جدية .. قال (جون) لنفسه : مخادعتان ! ربما هما
رجلان متكرران كما خطر لنا في (تورسلو) ..

وجاء ما طلبه (جون) من طعام عشوائيا .. كان
من المستحيل تمييزه ، وكان غارقا في صلصة
حمراء ..

ذابت الصلصة لتظهر شريحتين كبيرتين مما بدا له
كلحم مملوق متبل بالثوم .. إلا أن الصلصة كانت ذات
مذاق سكري ! وضع الملعقة وأراح الطبق بعيدا ،
وهنا كانت (لورا) قد جاءت ..

جلست ولم تقل شيئا .. وسره هذا : لأن الغثيان
كان يمنعه من الإجابة .. راحت تأكل طعامها دون أن
تنطق ..

أخيرا قالت :

- « أعرف أنك لن تصدقني إن هذا مفرع إلى
حد ما .. لقد ذهبت الأختان إلى الكاتدرائية وإن كنا
لم نرهما .. وتقول الأخت المبصرة : إن (كرسيتين)

كانت تحاول الاتصال بنا طيلة الوقت . تقول : إن
خطرا ينتظرنا لو بقينا في (فينيسيا) ، وتريد أن
نغادر فوراً .. »

فكر في غيظ : هذا ما كان ينقصنا هاتان
الأختان تتويان ترتيب حياتنا كما يتراءى لهما . قال
لها :

- « هاتان الشقيقتان غير متزنتين على الإطلاق
ويوسفنى أن أقول هذا ، لكننى وجدت فيك حمقاء
حقيقية .. »

- « أنت مخطئ .. إنهما صادقتان .. »

- « ليكن . لكن هذا لا يكفي لجعلهما متزنتين .
بصراحة يا عزيزتى أنت قابلت امرأة عجوزاً في دورة
ميه لتخبرك أنها رأت (كرسيتين) بجوارنا .. ثم
تحاول بعد هذا - مزهوة بنجاحها - أن تطردنا من
(فينيسيا) »
قالت له :

- « ليكن .. كنت أتوقع هذا منك . لكن - بصراحة -
لقد رأينا زبدة (فينيسيا) ولم يعد ثمة مكان جديد نراه ..
ولو بقينا هنا لظل وجه (كرسيتين) الحزين يطاردنى ،
يتوسل لى كى نرحل .. »

فى هدوء مريب قال :

- « حسن .. هذا يسوى الأمور .. سأذهب إلى
موظف الاستقبال وأخبره أننا سنرحل فى الصباح . »
- « إن (كرسيتين) قلقة عليك أكثر منى ، والغريب
أن الأخت الكفيفة تقول إنك تتمتع بقوى نفسية
لا تعرفها . إنك على صلة بالمجهول وليس أنا . »
- « ليكن . إن غريزتى النفسية هذه تدعونى
للرحيل الآن .. »

ونادى الساقى كى يدفع الفاتورة ، واختلس
نظرة لمائدة الأختين .. كانتا تتهمان أكواما من
(السباجيتى) بطريقة غير روحانية بالمرّة ..

رطوبة المساء الناعمة التى كانت تغرى بالمشى ؛ قد
استحالت الآن إلى مطر صريح .. ورجل أو اثنتان
يهرعان تحت المظلات .. وقال لنفسه : هذا ما يراه الناس
ليلاً شوارع خالية ومنازل مغلقة .. أما ما يراه
السياح فى صور (فينيسيا) فديكور براق للعرض

قال : إن الخبراء على حق .. مدينة (فينيسيا)
تغرق ببطء . وعمّا قريب تصير تحت قاع البحر ..
يا لها من نهاية ساحرة لأمنية توحى بالأمل !

★ ★ ★

هرعت (لورا) إلى المصعد ، بينما استوقفه
موظف استقبال الفندق ليناوله برفقة من إنجلترا ..
فتحها فوجد أنها من ناظر مدرسة (جونى)
الابتدائية ..

« (جونى) تحت الملاحظة للاستباه فى الزائدة
الدودية فى المستشفى الآن . لا تخف لكن الجراح
يرى ضرورة إخبارك »

« تشارلز هيل »

قرأ المکتوب مرتين ثم لحق بـ (لورا) فى المصعد ،
وناولها البرقية .

« جاءت هذه إذ كنا بالخارج .. ليست أخباراً
طيبة »

وضبط زر المصعد بينما هى تتلو الكلمات المقلقة
قالت له :

« حسن .. هذا يسوئ الأمر .. يجب أن نترك
(فينيسيا) حالاً .. إن (جونى) هو الذى فى خطر
وليس نحن .. كانت (كرسيتين) تحاول إخبارنا بهذا .. »

★ ★ ★

فى الصباح التالى حزماً حقائبهما ، وأخبرا إدلة
الفندق بنية الرحيل ..

كانت (لورا) مقتنعة بأن للاختين دوراً فى هذا
النذير ، وعلى مائدة الإفطار أخبرها (جون) بخطته :
سيركبان سيارتهما التى جاءا بها ، ويستقلان قطار
العودة من (ميلانو) إلى (كاليه) فهو مهياً لحمل
السيارات ..

قالت له وقد بدت لها هذه الخطة بطيئة جداً :

« يمكننا ركوب الطائرة ، على الأقل سنجد مقعداً
شاغراً لى ، وبهذا يكون أحدهما فى (إنجلترا)
الليلة .. »

وطلبت من موظف الاستقبال أن يحجز تذكرة على
طائرة منتصف الليل إلى (لندن) ، وتذكرة أخرى
على قطار السيارات لزوجها ..

قال لها (جون) :

« لا داعٍ للهلع .. إن أربعا وعشرين ساعة لن
تصنع كل هذا الفارق » .

كان الهلع على وجهها فعلاً إذ قالت :

« ربما لن تصنعه لك لكنها تصنعه لى .. لقد
فقدت طفلة ولن أفقد طفلاً آخر .. »

- حسن .. حسن .. »

واقترح عليها أن يطيرا معا ، ثم - حين تستقر الأمور - يرجع إلى (إيطاليا) ويعود بسيارته للوطن ..
قالت له :

- « فكرة سخيفة .. وكيف ننقل كل هذا المتاع إذن ؟ لا بد من سيارة لنقله .. كل ما ساحتاج إليه في الطائرة هو حقيبة صغيرة ، ويمكنك أن ترجع بالسيارة على مهل ومعك كل شيء من مقاعنا .. »

صعد لفرفته المملأ بالفوضى ، بينما (لورا) ترتب كل شيء مع موظف الاستقبال .. فجأة دق جرس الهاتف .. كانت هذه (لورا) تتحدث من البهو :
- « عزيزتى - ما كانت الأمور لتكون أفضل .. ثمة

طائرة تغادر (فينيسيا) بعد ساعة ، وهناك (لنش) سينقل مجموعة السياح المسافرين من (سان ماركو) خلال عشر دقائق هناك من ألفى حجزه على الطائرة ، وبذا سأكون فى (جيتويك) خلال أربع ساعات .. »

- « سأأتى حالا .. »

ونحى بها فى البهو . لم تعد قلقة متوترة بل مفعمة بالتصميم ، كانت فى طريقها ولكم تمنى لو يلحق بها .. ما كان ليطبق البقاء فى (فينيسيا) بعد رحيلها . ثم الرحلة الرهيبة ليلا إلى (ميلانو) ، والساعات الفظيعة فى القطار وحده مفعما بالقلق ..
كانت الريح تهب بشدة فى ميدان (سان ماركو) ، والناس يتأهبون لركوب اللنش ؛ إذ قال لها :

- « يمكنك قضاء الليلة عند (آل هيل) .. وأرجو أن تتصلى بى بمجرد وصولك إلى المستشفى »
كان اللنش مكسنا بالحقائب ، وعليها علامات (يونيون جاك) الخاصة بالبريطانيين . نظرت للقارب وابتسمت ، وقالت :

- « اعتنى بنفسك يا (بعلى) ، واطمئن على .. »
تعالى نغير الرحيل ، فصعدت (لورا) إلى (اللنش) وراحت تلوح بيدها ومعطفها القرمزى يتطاير وسط المحيطين بها .

ابتعد (اللنش) فراح يرمقها شاعرا بالحسرة .. ثم استدار عائدا إلى الفندق . لقد صارت غرفتهما خاوية

مقبضة الشكل . خاصة وحاجيات (لورا) فى كل مكان ثيابها .. مساحيقها أنبوب معجون أسنانها .. أنهى حزم متاعه وقرر أن يبدأ رحلته قورا . سيدفع الفاتورة ..

وراح يرمى الوافدين الجدد للفندق ، الذين يرمقون كل شيء فى ابهار ، ويومهم الشاب ينتظر من يرتب الخطط له ..

سيتناول الغداء ثم ينقل متاعه إلى المرأب الذى تنتظر سيارته فيه إن (لورا) الآن فى الهواء .. فى طريقها إلى (جونى) . الآن يمكن للتواعمين أن تستريحاً وتنعماً بسلام الروح .. لقد تحققت أمنيتهما ..

أنهى الغداء ولم يرغب فى احتساء القهوة ، لأنه راغب فى الرحيل حالا . وتساءل : ترى متى يعود ثانياً إلى (فينيسيا) ؟ بعد عام ؟ بعد ثلاثة أعوام ؟ ربما لن يعود أبداً ؟

ركب المعديّة التى ستقله إلى الجانب الآخر من القاء ، ورأى معديّة أخرى تتجه بركابها إلى (فينيسيا) .. كلهم سياح سعداء شغوفون برؤية المدينة الجميلة .. وللحظة حمقاء تمنى لو تبادل معهم الأماكن ..

هنا فوجى بـ (لورا) بمعطفها القرمزى تقف على المعديّة الأخرى مع الشقيقتين بينما الأخت المبصرة تتحدث بحماس مع (لورا) ، و (لورا) تصفى وعلى وجهها نظرة ضيق !

مذهولاً نظر ، ولم يستطع الصراخ أو التلويح .. ماذا حدث ؟ لابد أن هناك خطأ حدث فى رحلة الطائرة ولم تقف . لكن - فى هذه الحالة - لماذا لم تهاتفه (لورا) فى الفندق ؟ ولماذا جاءت الاختان معها ؟ ولماذا يبدو عليها الضيق ؟

ستعود (لورا) إلى الفندق حسبة أنها ستجده هناك ، عازمة على العودة بالسيارة معه وبالخلط ! كل ما بوسعه هو أن يتصل بالفندق كي يظنّبوا منها انتظاره حتى يعود ليحضرها ..

وصلت المعديّة إلى المرفأ ، فبحث عن هاتف .. رنين العملات المعدنية .. اصطياذ الأرقام .. فى النهاية رذ عليه موظف الاستقبال قال له . - « انتظر .. يبدو أن هناك خطأ مريعاً . ابق السيدة عندك حتى أعود .. »

فهم الموظف الامر . وقال (جون) لنفسه : حمدا لله
اننى رايتها قبل ان ارحل . مرت دقائق وراح يتساءل
عن كنه الخط الذى حدث فى المطار .. لا جدوى من
التخمين . ستخبره بكر شىء فى الفندق .

وماذا عن الأختين ؟ فنتذهبا إلى الجحيم . يمكنه أن
يتخير (لارا) تخبره أن العزيزتين لم تلحقا بالطائرة
ترى هل يمكننا اصطحابهما إلى (ميلانو) ؟

فجأة وصلب المعدة إلى (فينيسيا) من جديد ..
ثم هو مثير أن تعود إلى مكان ودعته منذ دقائق ..
دخل الفندق متوقعا ان يجد (لورا) تنتظره ، لكنها
لم تكن هناك . اتجه إلى موظف الاستقبال يسأله :

- « ألم تأت زوجتى بعد ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « هل أنت واثق ؟ »

- « قطعاً يا سيدى . فلم أبرح المكان منذ اتصت

بى .. »

- « لا أفهم . لا بد أنها فى (سان ماركو) منذ

خمس دقائق .. »

- « ربما رحلت (السنيورة) مع صديقتيها إلى

فندقهما .. هل تعرف الفندق ؟ »

- « للأسف لا . بل اننى لا أعرف اسميهما . »
هنا تدخل مدير الفندق . وقد سمع طرفاً من
المحادثة :

- « سأقول لك ما يجب عمله : سأتصل بالمطار
وأؤكد من أن الرحلة قد أقيمت فعلاً . وبهذا نصل
لمكان ما .. إن الترتيبات تفسد عادة .. »
- « لا بأس .. »

وأشعل لفافة تبغ وراح يذرع البهو متوتراً ..
يا للخط ! كان عليها أن تتصل به . المدير يتكلم
فى الهاتف .. يستخدم إيطالية سريعة جداً لم يفهمها
(جون) ، وفى النهاية وضع الساعة قائلاً :

- « هذا غامض جداً يا سيدى .. لقد أقيمت الطائرة
فى الموعد ، وعلى قدر ما أراه أعتقد أن (السنيورة)
عدلت عن السفر .. »

- « ولماذا تعدل ؟ لقد كانت ملهوفة على العودة »
هز المدير كتفه :

- « أنت تعرف النساء يا سيدى .. »

فكر (جون) بصوت عال .

- « إلا إذا كان لقاء هاتين السيدتين .. »

قال المدير فى تحفظ :

- « ربما ارتكبت خطأ ياسيدى، ولم تكن
(السنيورة) هى من رأيت .. »

قال (جون) :

- « لا هى زوجتى أوكد لك .. ترتدى معطفاً
قرمزياً وبلا قبعة كما فارقتها بالضبط ، ويمكننى أن
أقسم على اتنى رأيتها هى فى أية محكمة تطلب
شهادتى .. »

واتشغل موظف الاستقبال ببعض الضيوف الجدد ،
فسأل المدير (جون) :

- « هل ترى أن نتصل بفندق (تورسيلو) عنهم
يعرفون السيدتين ؟ »

- « لا أرى فكرة أفضل .. »

ومرت دقائق من المحادثة الهاتفية ، ثم قال المدير :
- « إن مدير فندق (تورسيلو) يذكرهما جيداً ..
لكنه يقول إنهما جاءتا للغداء فقط ولا يعرف
اسميهما .. »

- « هذه هى النهاية إذن .. لا شئ بيدنا سوى
الانتظار .. »

وانشغل نفاقة تبغى التثنية ، وراح يذرع البهو
متوقفاً أن يرى معطف (نورا) الأحمر فى أية لحظة
من المؤكد الآن أن السيدتين أفتتا (لورا) بروية
روحية ما . ربما بمشهد الطائرة تسقط . إنها
الرابعة والتصف عصراً الآن والشمس لم تعد تغمر
الماء ..

قرر أن يبحث عنها فى (بياتزا سان ماركو) ،
واخبر الموظف بنواياه فى حالة عودة (لورا) وهو
بالخارج ..

قال الموظف :

- « طبعاً ياسيدى سأخبرها لا بد أن هذا يثير
قلقك ياسيدى هل أحجز لك غرفة لهذه الليلة ؟ »
هز (جون) يده بلا حيلة :
- « أعتقد ذلك .. »

وغادر الباب ليمشى فى (بياتزا سان ماركو) باحثاً
عن معطف (نورا) القرمزى أو التوءمين .. غاص وسط
زحام المتفرجين والمشتريين .. لماذا لم تلحق (لورا)
بأى رحلة ؟ كل ما بقى له هو أن يبحث عن الأختين بين
مئات الفنادق والهنسيونات المبعثرة فى (فينيسيا)

لا بد أنهما قرب كنيسة (سان زاكارييا) حيث
قبلهما أمس ، فما كانت العمياء لتبتعد كثيراً عن
الفندق .

اتجه إلى هناك وقد بدت له الفكرة منطقية ..
مشى في الشوارع حائراً .. وبدأ قلقه يتحول إلى
هلع . لقد ظفرت المرأتان بـ (لورا) وأخذتاها إلى
الفندق أو أي مكان آخر ..

توقف أمام مبنى شامخ كتبت عليه عبارة (كويستورا)
الشرطة - « هذا هو ما أريد . سأدخل .. »

كان المكان نشطاً مزدحماً برجال شرطة يدخلون
ويخرجون .. سأل شرطياً عن ضابط يتكلم الإنجليزية ،
فأشار له إلى درجات سلم ..

صعد بضع درجات حيث وجد مكتباً مغلقاً ، ورجلاً
وامرأة يجلسان على دكة خشبية خارج المكتب .. كان
الرجل إنجليزياً ، قال له :

- « تعال واجلس .. إن لنا هنا نصف ساعة
ننتظر .. ما كان هذا ليحدث في وطننا .. »

أشعل لفافة تبغ ، وسأل الرجل عن مشكلته .. فقال
هذا :

- « زوجتي سرقت حقيبتها في متجر بـ (مارسيليا) .
أقول إن السارق نشال عادي ، لكن زوجتي مصرة على
أنها الفتاة البائعة .. كل الإيطاليين لصوص .. لكني
متأكد من أننا لن نجد الحقيقة .. وماذا عنك ؟ »
قال (جون) كأنها :

- « حقيقة .. بعض الأوراق المهمة .. »
كيف يقول إنه فقد زوجته ؟ لا يستطيع مجرد البدء
بالكلام ..

هز الرجل رأسه وقال :
- « الإيطاليون يتشابهون .. فقط (موسولينى)
العجوز كان يعرف كيف يتعامل معهم . هناك
شيوعيون كثيرون هنا هذه الأيام .. لكن الشرطة
لا وقت لديها لمشاكلنا الآن خاصة مع ذلك القاتل . »
- « قاتل ؟ أي قاتل ؟ »

- « لا تقل إنك لم تسمع عنه .. إن (فينيسيا)
كنها تتحدث عنه .. لقد وجدوا امرأة سائحة مذبوحة
الأسبوع الماضي .. ثم وجدوا رجلاً عجوزاً بالجرح
ذاته صباح اليوم .. يقولون إن القاتل مجنون ؛
لأنه لا دافع هناك .. ثمة أشياء قذرة تحدث
في (فينيسيا) في موسم السياحة .. »

انفتح الباب وبرز الضابط : فدعا الزوج وزوجته للدخول .

وحده بقى (جون) فأشعل لفافة تبغ .. وتملكه شعور غريب بأن هذا كله غير حقيقى .. ماذا يفعل هنا وما جدواه ؟ لن يجدوا (لورا) لقد اختفت للأبد مع هاتين الشيطانتين ..

ربما الصفح الذى يفتش عنه البوليس هو السقيقتان .. هذه بالفعل هى بداية (الباراتويا) هكذا يفقد الناس عقولهم . ونظر لساعته إنها السادسة والنصف ..

الشيء الوحيد العاقل الذى يمكن عمله هو أن يتصل بمدرسة (جونى) فى إنجلترا ليعرف الأخبار (جونى) المسكين ! لقد نساء تماما منذ سافرت (لورا) ..

انفتح الباب الداخلى ، وخرج الزوجان . وقال الزوج :

- « نفس الشيء : سيفعلون ما بوسعهم . يوجد أجانب كثيرون فى (فينيسيا) وكلهم لصوص .. أما الإيطاليون ففوق المصاعلة .. »

وابتسما له ثم رحلا .. وجاء دوره ..

دخل إلى المكتب لتبدأ الرسميات : الاسم - العنوان - جواز السفر .. ثم السؤال . وبدأ العرق يطفر على جبينه وراح يحكى كل شيء .. حين انتهى كان مرهقا كأنما يعانى إنفلونزا شديدة ..

سأله الضابط الذى كان يتكلم إنجليزية ممتازة :

- « تقول إن زوجتك كانت تعانى صدمة عاطفية . هل لاحظت هذا هنا ؟ »

- « نعم .. ولم تتحسن إلا حين قابلت الأختين .. »
- « ألم تتشاجرا قط ؟ »

- « نعم .. كنا على اتفاق تام .. »

هز الضابط رأسه وقال :

- « ربما أصيبت زوجتك بنوبة حادة من فقدان الذاكرة ، فلم تتذكر إلا المرأتين حين رأتهما .. أنت وصفتكما بدقة ولا أعتقد أن العثور عليهما عسير .. عليك بالعودة إلى الفندق بانتظار الأبناء . »

نهض (جون) وغمغم فى حيرة :

- « أنا اسف لشغل وقتكم ، برغم انشغالكم بذلك القاتل الطليق .. »

كان يريد أن يعرف الضابط ، إنه يربط ما بين اختفاء
(لورا) وجرائم القتل الجارية حالياً .. قال الأخير
وهو ينهض :

- « آه .. ذلك القاتل .. أتمنى أن نقبض عليه
حالا .. »

كانت لهجته مطمئنة واثقة . كل شيء تحت
السيطرة بما فيه القتلة والزوجات المفقودات
والحقائب الضالعة ..

وانطلق (جون) إلى الشارع ..

لم يعد بوسعه عمل شيء ..

كل ما يريده الآن هو أن يستريح فوق فراشه .
ويتصل بالمستشفى في إنجلترا ليعرف ما حدث
لابنه ..

حجرتة كانت في الطابق الرابع من الفندق ..
جرداء ، عارية ، متواضعة ، تملؤها روائح الطهو ..
طوح بحذائيه ومعطفه على مقعد ، وارتمى على
الفراش ..

رفع سماعة الهاتف وطب الاتصال بـ (إنجلترا) ،
وأغلق عينيه . مرت الدقائق ثم سمع الجرس . قال
لنفسه : استعد للكارثة . لا بد أن (جوني) يموت
الآن أو مات فعلاً ، وعندها لا يبقى لك أحد

بعد قليل سمع صوت مسز (هيل) ، ويبدو أنها
من البداية كانت تعرف من يتكلم .. قالت له :

- « هاللو .. لقد أجريت الجراحة لـ (جوني)
بنجاح .. وقد أتمها الجراح ببراعة عند الظهر ، ولم
يعد داع للقلق .. »

صاح في لهفة :

- « شكراً لله ! »

- « لقد استرحنا جميعاً .. يمكنك الآن الكلام مع
زوجتك ! »

جلس في الفراش مذهولاً .. ماذا تعنيه ؟ هنا سمع
صوت (لورا) الهادئ :

- « حبيبى .. هل أنت هناك ؟ »

لم يستطع الإجابة شعر بيده مبللة بالعرق حول
السماعة ، وهي تقول :

« كان جراحا بارعا ، وأنا سعيدة لما تم وكنت رحلتى طيبة . لقد وصلت إلى المستشفى بعد انتهاء الجراحة . كان (جونى) مرهقا لكنه سر نرويتى كيف كانت رحلتك إلى (ميلانو) ؟ »

لم يستطع أن يعرف صوته الذى أجاب :

« لست فى (ميلانو) أنا فى (فينيسيا) ! »

« (فينيسيا) ؟ لماذا ؟ ألم يدر محرك السيارة ؟ »

« لا أستطيع الشرح . كان خط غبى هو

السبب .. »

وشعر بالدموع فى عينيه . ولم يستطع

الاسترسال ..

ببطء قال :

« ظننت أننى رأيتك فى المعديّة مع هاتين

الأختين ! »

ساد الصمت .. ثم أثرت عدم التعنيق وسألته :

« ماذا تنوى عمله ؟ »

« سأرحل غدا بالقطار إلى (ميلانو) .. شكرا لله

لأن (جونى) تحسن أشكرى ال (هين) وقبلى

(جونى) .. »

« اعتن بنفسك إذن ، وقد السيارة بحذر . »

وأنهت المكالمة ..

كان شعور الارتياح الذى غمره يفوق الوصف ،

أقرب إلى الدوار ومع هذا شعور بأن كل هذا غير

حقيقى .. كأن ما سمعه لم يكن صوتها وهى ما زالت

مختبئة فى (فينيسيا) ..

لقد راها بالفعل فى المعديّة كانت (لورا)

لا امرأة تشبهها .. فما التفسير ؟ ولماذا ؟ التفسير

الوحيد هو أنه هنوس قليلا . إنه بحاجة إلى تحليل

نفسى كما احتاج (جونى) إلى جراح

المشكلة الآن هى الاعتذار للشرطة ومدير الفندق .

اعتذارات كثيرة فى كل مكان بسبب تحميل الأعباء

على كل شخص ..

لكن الكابوس قد ولى وصار وراءه . يمكنه التهام

عشاء شهى والنوم ..

نزل إلى البهو ليجد رجل شرطة واقفا مع موظف

الاستقبال ، فما إن رآه المدير حتى صاح :

« إيكونو ! إن الأشياء تتحرك يا سيدى ! لقد

وجدوا السيدتين ، وقد اصطحبهم رجال الشرطة إلى

(الكويستورا) ، وسوف يصحبك هذا المساعد إلى
المخفر «

احمر وجه (جون) ، وفي حياء قال :

- « لقد سببت متاعب للكثيرين لكنى وجدت

زوجتى فى (لندن) .. »

بدت الحيرة على وجه المدير ، وتساءل :

- « (السنيورة) فى (لندن) ؟ إذن من رآه

(السنيور) فى المعديّة ؟ »

- « خطأ شنيع من جانبى .. أنا آسف .. »

راح المدير يعتذر لرجل الشرطة فقال (جون) :

- « اسمع أرجو أن تبلغ الأجنّتى - المساعد -

أننى سأتى معه إلى (الكويستورا) لأعتذر للشرطة

وللسيدتين «

بدت الراحة على وجه المدير ، وقال :

- « لقد تضايقت السيدتان ، وسوف يسرهما

هذا .. »

لا يجب أن تسمع (لورا) عن هذا فلنستوف

تشعر بالخجل .

وانطلق مع المساعد إلى قسم التمرطة ، واتجه إلى
المكتب الذى زاره منذ ساعات ..

ولم يكن من رآه هو الضابط الأول بل آخر له وجه
شاحب ، والأختان جالستان أمامه فى ضيق وتوتر .

قال موجهاً كلامه لهما :

- « لا أرى كيف أعتذر خطأ شنيع منى

ولا تثريب على الشرطة .. »

قالت الأخت المبصرة :

- « حقاً لا نفهم .. لقد قابلنا زوجتك على

العشاء أمس ولم نرها من حينها ، ثم جاء البوليس

إلى البنسيون حيث نقيم ؛ ليخبرنا أنك قدمت شكوى

ضدنا .. »

تكلم الضابط بآنجليزية رديئة جداً بالنسبة لسابقه :

- « حسن . هذا تقرير ملىء بالكذب إذن ، وتزعم

أنها الحقيقة ؟ »

- « كنت أحسبها الحقيقة وقتها .. »

- « إذن من رأيت فى المعديّة ؟ »

- « عينا تخذعان أنا »

قائلها وقد بدأت إنجليزيتها تفسد بدورها ليجارى
الرجل :

- « أنا أعتقد أنني أرى الزوجة والسيدتين لكن
لا .. الزوجة فى الطائرة والسيدتان فى البنسيون »
- « كل هذا مجهود بلا طائل » تفتيش فتشنا ..
فنادق بنسيونات من أجل (سنيورينا) .. بينما لدينا
عمل كثير جداً .. هل تريد السيدة تقديم شكوى
ضده ؟ »

أجابت الأخت المبصرة :

- « لا .. لا .. نريد العودة للفندق فقط .. »
وجه كلامه لـ (جون) :
- « أنت رجل محظوظ .. لو قدمنا شكوى ضدك
لصار الموضوع خطيراً .. »
وقالت الأخت :

- « لا نريد .. لقد كان خطأ كما نرى ، ونتمنى
عدم إضاعة وقتك أكثر .. »
أمر الضابط أحد معاونيه كي يوصل الأختين إلى
البنسيون ، وتمنى لهما ليلة طيبة وتجاهل (جون)
تماماً ..



ولم يكن من رآه هو الضابط الأول بل أخر له وجه شاحب ،
والأختان تجالستان أمامه فى ضيق وتوتر ..

قال (جون) وهو يلحق بهما :
« سأأتى معكما لأكمل اعتذاري .. »

وغادروا المخفر ..

قالت له الأخت الكفيفة :

« أنت رأيتنا حقاً .. لكن ليس اليوم . رأيتنا في
المستقبل ! »

كان صوتها أكثر رقة من صوت أختها .

« حقاً لا أفهم .. »

واستدار للمبصرة كي يفهم ، فوضعت إصبعها على
شفتيها وقطبت ، وهمست :

« إنها تملك طاقة روحية هائلة .. لكني لا أريدها
أن تدخل في سنة هنا في الشارع .. »

وتحركوا ببطء عبر الشارع قاصدين جسرين
وشعر (جون) أنه يضل طريقه ، لكن لا مشكلة ..

إن مساعد الشرطة معهم على كل حال .
راح يحكي القصة بالتفصيل للأختين ، حتى وصلوا

إلى مبنى عليه لافتة (بنسيون) .. فوقفوا ..

« هذا هو ؟ »

« نعم .. إنه نظيف مريح .. »

وللمساعد قالت (جراتسي تانتو) لتصرفه ، فهز
رأسه وتعدى لهما ليلة طيبة واختفى . ولـ (جون)
قالت :

« هلاً تفضلت ؟ سنقدم لك بعض الشاي »

« لا شكراً .. أردت فقط أن أتأكد من أنكما
تفهمان .. »

« لا مشكلة .. وسوف نبقى هنا عشرة أيام
أخرى لو أردت الاتصال بنا .. »

« هذا هو عنواني في (لندن) . أراهن أن
(لورا) تتمنى أن تسمع عنكما .. »

وعلى ورقة من مفكرته شخبط عنوانه مع رقم
الهاتف وراح يتخيل (لورا) تخبره ذات ليلة

أن العزيزتين ستمران به (لندن) في طريقهما إلى
(أسكتلندا) وخير ما يمكن عمله استضافتهما في

الغرفة الخالية . ثم تدور جلسة تحضير أرواح في
غرفة الجلوس !

نظر للأخت العمياء فوجد عينيها غير المبصرتين
تريفان .. أمسكت بيده فجأة بقوة ولم تتركها ..

وصاحت :

- « الطفلة ! أستطيع أن أرى الطفلة ! »

ثم - لحيرته - تدلت الرغاوى من جاتبي فمها ،
وسقط رأسها للوراء .. صاحبت أختها بسرعة :

- « يجب أن أدخلها ! كل شيء على ما يرام ..
هي ليست مريضة .. إنها بداية السنة .. »

حملها بين ذراعيه ، ونقلها إلى الداخل .. جاءت
امراة من غرفة داخلية كي تعاونه على إرقادها على
فراش ..

كادت أصوات كمن يشرق تخرج من حلق الأخت ،
ولم يجد ما يفعله سوى أن ينصرف .. فمن الواضح
أن المرأتين لا تريدانه هنا ..

خرج من البنسيون إلى الميدان المظلم ، ونظر
للوراء . يا لها من أمسية ! إن الأخت المسكينة
لم تتخلص بعد من آثار قسم الشرطة .. لقد أصابتها
نوبة صرعية من المرعب أن تحدث في دله ..
ودعا الله ألا تزوراه أبداً في (لندن) ..

ولكن أين هو ؟ إن الشوارع مظلمة ملأى
بالمنحنيات ، رأى لافتة في ضوء مصباح ، فأجهد
عينيه ليقرأها . سان جيوفاتي - براجورا ..

لقد كان هنا مع (لورا) ذات صباح إنه قريب
جدا إذن من بحيرة (سان ماركو) و (ريفا ديچنى)
هل يقوده هذا الزقاق إلى هناك ؟ لا . لا يبدو
سليماً .. لكنه يبدو مألوفاً ..

هنا تذكر أن هذا هو الزقاق الذى كان يمشى فيه
مع (لورا) أمس . لكنهما دخلاه من الطرف الآخر ،
ومعنى هذا أن بوسعه عبور الجسر ليجد (أوسينال)
على يساره ، و (ريفا ديچنى) على يمينه .

مشى فى الزقاق وفجأة رأى الطفلة الصغيرة
ذاتها التى راها أمس تركض بين القوارب . كانت
تجربى وكأن حياتها تعتمد على ذلك .

كان هناك من يتبعها يتبعها ويتوارى وراء
الجدران كي لا تراه ..

تذكر الصرخة التى سمعها أمس .. وسرعان
ما ربط بين رعب الطفلة والمطارد وأخبار قاتل
(فينيسيا) ..

قالت له غريزته أن يهرب فوراً عبر الزقاق ، لكن
ماذا عن الطفلة ؟ ما مصيرها ؟ «

راها تفر إلى باب مفتوح في منزل ، وهي تطلق
صرخة لا كصرخة طفل خائف ، بل صرخة أجمعها
الذعر ترى هل من حام لها في المنزل ؟
تتبع خطواتها نحو الباب .. إنها على ما يرام ..
اطمئني يا طففتي فلن أتركه يؤذيكَ جرى ليراها
تركض داخل المنزل المظلم ، وصوت خطوات من
يقفئ أثرها .. وثمة كلب ينبح ..
نحن الآن معاً .. أنا وأنتِ ..

أغلق الباب وراءه ، ولحسن الحظ كان هناك مزلاج
أحكم غلقه بدوره هكذا يمكنه أن يصرخ من إحدى
النوافذ حتى يأتي أحد ، وقبل أن يتمكن الرجل من
فتح الباب ..
قال لها لاهثاً :

- « أنت على ما يرام .. أنت على ما يرام ! »
سقط الكنبود من فوق رأس الطفلة .. فنظر لها غير
مصدق ، وسرعان ما تحول عدم تصديقه إلى رعب ..
ليست طفلة ، بل هي قزم مرعب ، طوله ثلاثة أقدام ،
له رأس عملاق بالنسبة لجسده .. وكان يكشر في
وجهه ويهز رأسه لأسفل وأعلى ..

سمع الخطوات تدنو من الباب ، وسمع طرقات
ومن يصيح :
- « افتح ! بوليس ! »

هنا منّت يدها إلى كمها وانترعت مديّة . وبقوة
هائلة غرستها في حنقه تأرجح وسقط والدم يكسو
يديه .. الآن يرى المعدية وعليها (لورا) تعبر
(الجرائد كاتال) ومعها الأختان . ليس اليوم بل
غداً .. ليس غداً بل بعده بأيام .. الآن يعرف لماذا هم
جميعاً معاً ولماذا جاعوا ..

كان المخلوق ينظر له ، والأصوات تزداد خفوتاً .
يا لي من أحمق .. ويا لها من طريقة غريبة
للموت

★ ★ ★

الاختراق



بدا دورى فى الموضوع فى ١٨ سبتمبر ، حين استدعانى رئيسى بالعمل ، وقال لى . إنه سينقلنى للعمل فى (ساكسمير) بالساحل الشرقى ..

كان أسفا - كما قال - لكننى الوحيد الذى يملك مؤهلات فنية صالحة للعمل الذى يجرى هناك . لا لم يخبرنى بتفاصيل . فقط عرفت أن هناك مجموعة غريبة من القوم تواروا وراء الأسلاك الشائكة ، وكان المكان محطة رادار تجريبية منذ أعوام لكنها مهجورة الآن ، والتجربة التى تدور هناك شيء مختلف تمامًا .. شيء يتعلق بالذبذبات وطبقات الصوت .

قال رئيسى وهو ينزع عويناته ذات الإطار العاجى، ويلوح بها معتزلاً :

- « ساكون صريحاً معك بشدة لقد كان (جيمس ماكين) صديقاً حميماً لى فى (كامبردج) ثم افترق طريقاتا ، وكرس حياته للعمل التجريبى الغامض .. وفقدت الحكومة بسببه الكثير من المال ، كما أنه أضاع سمعته كذلك .. لكنه الآن مستقر فى (ساكسمير) مع فريق من الخبراء ومنحة حكومية ، وهو خبير فى الهندسة الإلكترونية .. وقد أرسل

لى إشارة استغاثة يطلب فيها منى شاباً لا يتكلم .
ولسوف تسدى لى خدمة خاصة لو ذهبت .. »

أما وقد وضع الأمر كهذا ، لم يعد لدى سوى
القبول . وإن كان آخر ما أريده فى العالم هو أن
أترك شركة (أسوشيتد إلكترونيكس لمتد) - AEL -
بتسهيلات البحثية ، لأسافر إلى الساحل الشرقى
لأعمل مع رجل مجنون ..

.. « ومتى تريدنى أن أذهب ؟ »

.. « بأسرع ما يمكن .. ربما بعد غد ؟ آسف
يا (ساوندرز) .. ستعود بشيء من الحظ قبل رأس
السنة .. هذا ليس نقلاً دائماً بل هو إعاره . فأنت
مهم هنا .. »

كان هذا أكثر ما أحتمل .. سألته :

.. « أى نوع من الرجال هو ؟ »

.. « إننى اعتبره متحمساً .. طرأ الرجال الذين
لا يتخلون عن شيء ، وهو مجنون بطريقته ، ولن يثير
ملك أبداً .. لقد تزوج ثم جاءت المأساة .. لقد ماتت
زوجته بعدها بعام .. »

لم يطل الأمر حتى حزمت حاجياتى ، واستقلت
القطار ..

عندها أدركت حقيقة موقفى . أنا فى مهمة
لا أرغبها ، ذاهب لوظيفة لا أعرف شيئاً عنها ، وهى
خدمة شخصية لرئيسى فى العمل ..

قال زملاى فى العمل حين عرفوا بذهابى
لـ (ماكسمير) :

.. « هذه نكتة .. هؤلاء القوم لم يمارسوا بحثاً
جدياً منذ أعوام ، والوزارة تتمنى لو ينسفوا أنفسهم
إلى أشلاء .. »

ونصحونى باصطحاب مضارب الجولف وكتب كثيرة
معى ، فـ (ماكسين) لا يملك مؤسسة علمية هناك .
فقط لديه بعض الشباب الذين يعتبرونه نبياً .. ولو لم
ترق له فلن يطلب منك عملاً على الإطلاق ..

وكان المطر يهطل حين نزلت إلى الرصيف الخالى
العاصف ..

جاءت سيارة (موريس) عتيقة لتقف أمام المحطة ،
وخرج سائقها ليقول لى وهو يتناول حقائبي .
.. « أنت (ساوندرز) .. أعتقد هذا .. »
كان شاباً لا يتجاوز التاسعة عشر .. قلت له .

- « أنا هو .. كنت أتساءل عن كيفية العثور على سيارة أجرة .. »

- « لن تجد في ليلة مطيرة كهذه إن أتوافدين يأخذون كل ما يمتسى على عجلات ليأخذهم إلى (ثورنول) .. هلم لركب .. »

كنت قد نسيت أن (ثورنول) هي قاعدة طيران أمريكية ، وأرسلت أن أتجنبها فيما بعد . فلأمريكن جنس لا يروق لي بحال ..

قال لي وهو يقود السيارة وصوت قعقة يتعالى منها :

- « معذرة فلم أجد وقتاً لأصلحها . اسمي (كين رايان) ويمكنك أن تدعوني (كين) .. »

لم أفر شيئاً . فاسمى الأول هو (ستيفن) لكن أحداً لم يجروا على اختصاره إلى (ستيف) قط . كان الطريق ممثداً بين حقول النفط وبيوت (ثورنول) تتراعى من بعيد . والمطبات كثيرة جعلت رأسي يصطدم بالسقف مراراً . وعلى الجانبين كانت المستنقعات الكثيفة ، ومن بعيد رأيت برجاً عالياً أمام صفحة السماء ، وإذا ننونا لمحت ، الرادار هذه هي (ساكسمير) .. لم يستطع تشاومي أن يتخيل مكاناً أكثر قبحاً من هذا .

قال وقد أحس بافتقاري للحماس :

- « يبدو المشهد كنيابا في هذه الاضائة ، لكن هذا بسبب الأمطار . الجو غالباً جميل ، ولكم من شروق شمس ممتع ها هنا ! »

وفهم ضحكتي الساخرة على أنها ضحكة مشجعة ، فقال :

- « إن الطيور هنا ساحرة لو كنت ممن يراقبونها .. »

وتوقف بسيارته عند بوابة من السلك الشائك ، ونزل ليفك جنزيراً ما . كانت المنطقة كلها محاطة بهذا السلك على ارتفاع عشرة أقدام ، كان هذا معتقلاً نلزي ..

وظهر كلب إلزاسي دنا منا ، وراح يهز ذيله ، فقلت :

- « أين المدفع الرشاش ؟ »

ضحك الفتى ، وقال :

- « لا مدافع . إن (سيربيروس) رقيق كحمل .. »

وعبرنا البوابة ، فلم يبد الكلب اهتماماً بنا

وفجأة راح يركض نحو البرج ..

- « سيصل إلى المنزل قبلنا .. »

كان المطر قد توقف ، وامتلات السماء بأشلاء السحب ، بينما وقف البرج وحده أمام السماء النحاسية

اتجهنا يسارا نحو الرادار حيث المدخل الرئيسي .
وتوقفت السيارة فحملت حقابى . وسألت (كين) :

- « أين غرف النوم ؟ »

- « نحن نفعل كل شيء هنا : ننام .. نأكل .

نلهو .. نعمل .. »

وسبقنى إلى ممر يتفرع يميناً ويساراً ، وسألتنى :

- « ربما تحب أن ترى غرفتك وتأخذ حماماً . »

واقفادنى إلى غرفة بها فراش ، وفتح الستائر ..

إن من سمى هذه (غرفة) لا بد أنه كان يعمل فى

مستشفى . بها كل شيء مهم : إباء الفسيل ..

الفراش المقعد جوار الفراش ، والملاءات مطوية

بأسلوب المستشفيات .. العسكرية منها بالذات ..

رأيت به يتجه إلى الممر بالخارج فتبعته .. فى الخارج

كانت هناك أرائك ومنفأة كهربية وبار صغير .. وسألتنى :

- « قهوة أم شيكولاته ؟ أم لعنك تفضل عصير

البرتقال ؟ »

واضح أن هذا البار لا يحوى الكحوليات . صب لى
بعض العصير فى كوب وناولته لى .. سألته وأنا أسمع
صوت كرات بنج - بونج من مكان ما :

- « أين يقيم العاملون هنا ؟ »

- « لا يوجد عاملون لا يوجد هنا سوى (ماك)

و (جاتوس) و (روبى) وأنا .. والآن أنت بالطبع .

نحن مجموعة سعيدة .. »

لم أشك فى هذا عصير يرتقال ، وطيور ،

وشموس ممتعة ، وبنج - بونج .. ولكم وددت

لو أجرح كبرياء هذا الشاب ، لذا سألته :

- « وما هو وضعك هنا ؟ »

ضحك ، وملاً كوباً من العصير وقال :

- « أنا خنزير (غينيا) الخاص بـ (ماك) (*) ..

مثلى مثل ابنة (جاتوس) والكنب (سيربيروس) .. »

هنا انفتح الباب ، ودلف رجلان إلى الغرفة ..

(*) حريير غينيا : حيوان ثديى صغير . أقرب إلى الارنب .

يمتثل بكثرة فى التجارب الطبية

بالسليقة عرفت (ماكلين) .. كان طويلاً في
الخمسين من عمره ، وله عينان زرقاوان باهتان
أراهما دوماً في السكاري والقلة والطيارين الحربيين .
إن للثلاثة شيئاً مشتركاً في ذهنى .. ذقته وأنفه
بارزتان ، ويرتدى كنزة لها رقبة سلحفاة .

أما مرافقه فكان شاباً ناحلاً ذا عوينات ، له مظهر
صبي في الكشافة ، ولم تزد به بقعاً العرق تحت إبطيه
جمالاً ..

مذ (ماكلين) يده لى ، وابتسامة الترحيب توحى
بأننى صرت بالفعل واحداً من مجموعته الصغيرة :
- « سعيد بأن أراك .. إنها أمسية كنيية بالنسبة
لأول قدوم لك إلى (ساكسمير) لكننا سنفعل الكثير
غداً .. أليس كذا يا (روبى) ؟ »

ووضع نراعه على كتفى :

- « سمعنا عنك أشياء عظيمة من AEL .. عصير
برتقال للجميع يا (كين) .. يجب أن أقول إننى
مسرور بقدومك ، وأرجو أن تسمح لى بأن أأاديك
(ستيف) بدلاً من (ستيفن) ؟ »

حاولت أن أبتسم لكن ابتسامتى تحولت لتقطيعة ..

صافحتنى (روبى) صبي الكشافة بدوره ، وقال :
- « أنا مسئول المشروع هنا ، وأقوم بكل شيء
من تفجير الفخاخ إلى قياس حرارة (كين) .
لو احتجت إلى شيء قل لى .. »

وأتركت أن هذا الصوت الغريب المضحك هو
صوته ، وليس وليد اللحظة ..

كانت هناك مائدة معدة لأربعة ، وثمة شخص يقف
بانتظارنا ، له شعر لزج متلاصق .. قدمه لى (ماك)
قائلاً :

- « هذا هو (جاتوس) ، وهو يتأكد من أن أحدنا
لن يموت جوعاً .. »

وجلسنا إلى المائدة .. مذ (جاتوس) يده إلى
سلطانية كبيرة يتصاعد منها البخار ، ووضع فى
طبقي عجينة لها لون الزعفران ، والغريب أنها كانت
جيدة المذاق .. استغرق الطعام خمسين دقيقة ، بعدها
صرت على استعداد لأن أعقد سلاماً مع زملائى ..

كانت محادثات (كين) هى سلسلة من النكات مع
(روبى) ، بينما (ماك) لا يكف عن الحديث عن
خبراته فى تسلق الجبال بـ (كريت) .. وكان هو أول
من نهض ، وقال :

- « أتمنى لكم ليلة سعيدة .. لا تقرعوا لوقت متأخر .. ستنتظني الأنوار في التاسعة مساءً ! »
غابت المائدة لاحقاً بـ (ماك) .. فرأيت أنه يتجه إلى باب مجاور قباب آخر ، ثم شعرت بالهواء البارد لما بدا لي كنصف معمل ونصف عيادة .. بل إنه يحوى منضدة جراحية تحت ضوء ، وآلات متراصة ..
قال (ماكلين) :

- « هذا هو الجزء الخاص بـ (روبى) ، ويمكنه عمل كل شيء هنا ، من تربية فيروس إلى استئصال لوزتيك .. »

ثم دخل إلى غرفة ثالثة ملاصقة .. رأيت أننا فى قسم الإلكترونيات .. بدا لي هذا كجهاز حاسب آلى عملت فيه من قبل .. حاسب آلى قابل للمحادثة إلا أن عباراته محدودة ، والصوت المنبعث منه غير آدمى بالمرّة ..

قال (ماكلين) وهو يقدم الجهاز لى كأب فخور يقدم ابنه للضيوف :

- « جميل .. أليس كذلك ؟ إننا نسميه (شارون - 1) .. »

من المعتاد أن نطلق أسماء تليل على اختراعاتنا ، وقد أطلقنا على اختراعنا القديم فى AEL اسم (هرمز) ، وهو الرسول ذو الأجنحة بين البشر والأولمب .. أما (شارون) فهو - على ما أنكر - اسم المعداوى الذى ينقل أرواح الموتى عبر ضفاف نهر (ستيكس) .. يا لها من روح دعاية !
سألته فى حذر :

- « ما هو دوره ؟ »

- « إن له وظائف عدة .. لكن ما يضيئ هنا هو آليات الصوت .. »

وجزبه لى فوجدت أنهم حققوا نتائج أفضل بكثير مما حققناه فى AEL .. لقد كان الصوت واضحاً تماماً ، ولم يعد متردداً بهتاً ..
قال لى :

- « نحن نستعمل (شارون - 1) للتحويل المقاطيسى .. وهو يوجه عبارات للشخص المطلوب تنويمه ، وتبعاً للإجابة يختار أسئلة أخرى .. ما رأيك ؟ »

- « هذا رائع .. لقد سبقتم أى عالم آخر بأموال .. ویدهشنى أننا لن نستطيع تطويره فى AEL خيراً من هذا .. »

ثم تحرك (مكلين) إلى جهاز آخر وقال :

- « هذا هو ما يهم الوزارة .. أنت تعرف ان الطائرة إذ تخرق حاجز الصوت تهشم زجاج النوافذ ، لكنها لا تهشم زجاج نافذة بعينه .. هذا هو المسير في الموضوع ، لكن (شارون - 2) يستطيع هذا .. »
ووضع كأسا زجاجيا على المنضدة ، وشغل الجهاز ..
فارتج الزجاج وتناثر إلى أشلاء ..

- « لطيف .. أليس كذلك ؟ يمكنك إيذاء أهداف بعينها عن بعد ، وسوف يجد الجيش ما يهمه في هذا ، لكني مهتم أساسا بدراسة الاستجابة عالية التردد بين الأشخاص والحيوانات .. »

وضغط زرًا آخر في اللوحة ، وقال :

- « لن تسمع شيئاً من هذه .. إنها النغمة فوق الصوتية المتحركة في (سيربيروس) ، وسوف يكون خارج الغرفة حالا .. »

وانتظر بضع دقائق .. بعدها سمعنا صوت مخالب

الكلب على الباب البعيد ونظر إلى ساعته وقال :

- « التاسعة والرابع .. ترى هل تغفر لنا مسر

(جاتوس) ما سنفعله ؟ »

سألته :

- « ماذا ستفعل ؟ »

- « سأوقظ ابنتها الصغيرة ، واجنبها إلى الهاتف »
وضغط زرًا آخر ..

بعد دقائق دق جرس الهاتف ، فتناول السماعة
ليقول :

- « هتو ان اسف ي مسر (جتوس) ان كنت
ايقتضها هي مجرد تحربة نعم اعيدتها إلى
الفراش انو يا (نيكى) لا شيء يثير القلق ،
فعودي للفراش الآن .. »

ووضع السماعة ، وقال لي :

- « ان الاطفال مثل الكلاب سهل تدريبهم
او - بشكر اخر - حاستهم السادسة التي تنقظ هذه
الامارات منظورة جدا لقد التقطت (نيكى) تلك
الاشارات بسهولة تامة ، حصة انها تعاني تخلفا
عقب يجعلها مناسبة جدا لهذا الغرض »

ورببت على الصندوق الالكتروني ، ونظر لي
وابتسم :

- « هل من أسئلة ؟ »

« طبعاً .. السؤال الأول : ما جدوى تفريب الأطفال والكلاب ؟ »

وقلت لنفسى : لو كان هذا هو نوع التجارب الجارية هنا ، فلا عجب فى أن الوزارة أهملت تمويل هذا المكان ، واعتبرته جنة المخابيل ..
قال لى شاردا :

« إن (شارون - 2) يرسل الإشارات بالضبط لمن نختاره ، لكن هذا ليس الغرض منه .. إبنى أحاول البحث عن شيء أكبر من هذا .. ولكن دعنا نترك (شارون - 1) و (شارون - 2) وحدهما هذه الليلة ، ولنستشق بعض الهواء .. »

مشيت معه إلى الباب .. إلى الخارج حيث صار الهواء نظيفاً بارداً ، والسماء ملأى بالنجوم ، ومن بعيد - خلف كثبان الرمل - سمعت هدير الأمواج ..
سألنى :

« هل لديك فكرة عن الـ (بولتر جايشت) ؟ »
« الأشباح التى تدق ليلاً ؟ بالطبع لا .. »
« ما رأيته الآن من زجاج يتهشم إلى أجزاء ليس سوى المبدأ ذاته : قوى كهربية تتحرر .. كانت

لدى مسز (جاتوس) مشاكل مع تهشم الأطباق قبل أن أخترع (شارون) .. وكأت هذه (نيكى) بالطبع .. »

« ماذا ؟ »

« نعم » - وراح يزرع المكان جينة وذهاباً ويداه فى جيبيه - « .. كانت الطاقة الروحية لدى الطفلة قوية متفجرة ، بسبب عقلها المتخلف .. ثم كونها النوعمة الوحيدة الحية من نوعمين ؛ جعل الطاقة مضاعفة .. »

كان هذا أكبر مما أستطيع ابتلاعه فضحكت ..
قال لى :

« هناك مئات من هذه الأشياء التى يسمونها (نشاطاً حركياً) ، وفى كل مرة كان هناك طفل ذكاؤه أدنى من الطبيعى ، وهذا يقتضى أن يداخل كل منا جزءاً من هذه الطاقة الغامضة .. يمكننى أن أسميها (القوة السادسة) .. إنها تعمل كذات الموجات التى يطلقها (شارون) ، وتفسر كل الانفجار النفسية .. ولما كانت الطفلة متخلفة عقلياً كانت مسيطرتها غير الواعية على تلك القوى أقل .. »

ان الله (سبحانه وتعالى) يعرف ان الحياة معقدة
بم يكفى ، كى لا نفصى وقتك فى البحث عن طافت
غمضة داخل الاسن . بهذه التجارب العجبية
قالت ل (ماك) :

- « حسن ستسيطر على تلك القوى لكن
ان يزيد هذا من متاعنا بما لا يقاس ؟ »

- « سيجد الإنسان الطريقة المني لاستغلال
(القوة السادسة) فى وقت ملائم وهدفى هو
اختزان هذه الطاقة بعد ما يموت الجسد »

نظرت له مذهولا غير مصدق انه مخنون تمام
قال لى وهو يرمق النجوم :

- « فكر فى هذا : كل البشر يملكون تلك الطاقة ،
وهى تموت معهم اذ يموتون اية خسارة عبر
القرون ! الطاقة الحيوية التى لا يحكمها شيء وتوجد
فى كل مكان .. »

لا بد ان هذا الهراء النظرى قد ولد بعد وفاة
زوجته .. قلت له :

- « تحتاج الى عمر كامل كى تبرزهن على
نظريتك .. »

- « لا احثج ابنى شهريين لا اكر نقد فرغت
من اختراع (سارون - ١) الذى لم ترد بعد ، وبه
وحدة تحزن تلك الطاقة ونحن مستعدون للتجربة
حين يعمر (سارون - ١) و (سارون - ٢) ، لكنى
بحاجة الى مساعد متعاون منك نقد رفض
من سبقت العمل معنا لاسبب شخصية افهمها
لم يستطع ان يبتلع نظرياتي قط .. »

ومشيتا عاندين نحو محطة الرادار المعطلة ، حيث
ساد الظلام تماما ..

تذكرت (كين) فى انوار يصب نفسه عصير
البرتقال ، ويعتبر نفسه خنزير (غينيا)
سألته :

- « ما دور (كين) فى هذا ؟ »
صمت قليلا .. ثم قال :

- « انفتى مصاب بسرطان ادم (روبى) يقول انه
لم يعيش اكثر من ثلاثة اشهر لكن انفتى شجاع
ويثق بتجربة ونو فشلت المداولة فن يخر
شيدا فهو ميت على كل حال اما لو نحنا »

★ ★ ★

أشرقت الشمس في الصباح التالي .. نهضت
من النوم لأرمق الطريق الأسفلتي ، وقررت أن
أرحل ..

حلفت نفسي واستحمت ، واتجهت إلى الإفطار
عازماً على أن أتفرد بـ (ماكلين) ..
سأركب أول قطار ، وبيعض الحظ أكون في (لندن)
في الواحدة بعد الظهر ..

لم يكن على المسائدة سوى (روبى) الذى كان
ينقضى على طبق ملء بالرنجة .. جلست أمامه
أتناول إفطاري ، وبحثت عن جريدة فلم أجد .. هكذا
صرت مرغماً على المحادثة ..

كان منهما في تشريح الرنجة بدقة خبير ، وفجأة
سألنى :

« هل انتويت الرحيل ؟ »

أثار هذا ذهولى ، ولم أحب أسلوبه .. قلت له :

« إبنى مهندس إلكترونيات ، ولست شغوفاً
بطاقات الإنسان الخفية .. »

« وكذا زملاء (لستر) لم يكونوا شغوفين
بالمطهرات .. فأى حمقى جعلوا من أنفسهم بعد
ذلك ؟! » (*)

وابتلع نصف سمكة الرنجة .. فقلت له :

« اسمع .. لنا منبهر بـ (شارون - 1) ..
لكنى لا أعرف نفعاً لـ (شارون - 2) .. أما
(شارون - 3) فلو سمعت به الوذرة ، لانتهى
بنا الأمر في مستشفى المجاذيب .. »

لم يكن الإفطار وجبتى المفضلة ، وكان ما رأيته
كفيلاً بإفقادى أية شهية .. لذا سررت إذ ظهر وجه
(كين) فى النافذة يقول لى :

« مرحباً .. لو لم تكن مشغولاً يمكنك المجيء
معى لتزور أكواخ حرس الشاطئ .. إن الجو جميل
اليوم .. هل أنت فى اللعبة ؟ »

كان الإغراء شديداً ، فصوت قرمشة (التوست)
فى فم (روبى) لا يحتمل ..

(*) (لستر) جراح بريطانى عظيم ، كان هو أول من أدخل
أساليب التعقيم الحديثة فى الجراحة ، وذلك فى عصر كان الأطباء
فيه يصلون أيديهم بعد الجراحة لا قبلها !

وسألته :

- « أين أجد (ماكلين) ؟ »

- « في غرفة التحكم .. »

كان يحب عمر هذا قورا ، لذا هرعت إلى المعمل حيث كان (ماك) واقف حوار (شارون - ا) ، فم إن رأني حتى قال لي :

- « ثمة خطب ما لا درى إن كان بوسعك

إصلاحه .. »

كنت قد حسيت لاعتذر وصارحه بنية الانفصال عن فريقه ، لكنني لم أفعل ..

جنست أمام الحاسب الآلي إن انفصول القاتل والكبرياء المهنية والغيرة الشخصية كهت كانت ذات تأثير قوى على وذببت في عاتم الحاسب (شارون - ا) ، وبهرني جمته وكفاءته وربحني (ماكلين) من لحظتها ..

وفي النهاية وجدت العطر واصنحته ، وسرعان ما تحول (ماكلين) إلى (ماك) ، ونم يعد تصغير اسمي إلى (ستيف) مما يضايقتي ..

لقد صرت واحداً من الفريق ..

وفي العصر تنزهت مع (كين) بإذن من (ماك) .. كان من الصير أن أصدق دنو الموت من هذا الشاب الجامع .. ربما كان (ماك) و (روبى) على خطأ . والحمد لله أن هذه ليست مشكلتي ..

مشيت مع (كين) وهو يثرثر ويضحك ، بينما (سيربيوس) يتريض عند أقدامنا ويلتقط العصي التي رحننا نرميها له ..

فجأة تصلب الكلب ، ثم انطلق عانداً من حيث جننا .. لقد تلقى رسالة من (شارون) . كان رحيته المفاجئ غريباً ، ونحن على بعد ثلاثة أميال من (ماك) .. توجهنا يساراً متجهين إلى القمة . وكانت هناك مجموعة من أكواخ حرس الشاطئ ، قال لي (كين) :

- « تعال نحى المسز (جانوس) .. »

تبعته متردداً فأنا أمقت أن أزور أحداً دون إعداد ..

كانت الحديقة غير مفتتى بها ، وفتاة صغيرة تقف جوار باب الكوخ .. شعرها الأسود يحيط بوجهها الضامر ، وعيناها بلا هريق ..

- « مرحبًا (نيكى) .. »

أشارت إلى وتساءلت :

- « من هذا ؟ »

- « اسمه (ستيف) »

- « أنا لا أحب هذا .. »

قالتها فى مشاكسة ، ثم حاولت أن تعلى ظهره ..
بينما هو ينادى مسر (جاتوس) ..

جاءت امرأة سمراء لها وجه ينبض بالرعب ،
حيثنا ودعتنا للدخول ..

فى الداخل أحضرت براد شاي لنا وكوبين .. بينما
الطفلة تلهو مع (كين) ولا تكف عن النظر إلى
حذاءى ..

كانت هناك صورة للطفلة فوق المدفأة .. وكانت
أجمل بكثير من صاحبته ..

هنا اتصلت الطفلة فجأة كأنها فى نوبة ، ثم
هتفت :

- « ماك (يريدنى !) »

شعرت بالغثيان إذ خرجت الطفلة لتتصل بـ (ماك)
هاتفياً .. وسألت الأم وأنا أشير إلى الصورة :



نجاة تصلب الكلب ، ثم انطلق عائدًا من حيث جئنا ..
لقد تلقى رسالة من (شارون) ..

- « صورة جميلة .. »

لدهشتي امتلأت عيناها بالدموع . وقالت :

- « هذه ليست (نيكى) هذه (بنى) أختها ..

لقد فقدناها فى سن خمس سنوات .. »

هنا عادت الطفلة لتعلن :

- « (ماك) يريد أن تعود أنت و (كين) الآن .. »

وهكذا غادرنا الكوخ شاكرين للمرأة حسن

ضيافتها ..

ومن المستنقع جوارنا شمعنا رائحة العطن ، بينما

الهواء يزداد سرعة ، ومن بعيد جثم البرج فوق

الأفق كوحش ..

★ ★ ★

فى الأيام التالية طورنا نظاما للحاسب الآلى ،

يرسل الأصوات حسب برنامج دقيق .. وكان عملى

هو تحسين دقة الصوت ، بينما البرمجة مسئولية

(ماك) ..

وفى يوم الجمعة أعلن (ماك) أن (شارون - 3)

صار جاهزا ..

ذهبت إلى المعمل ، بينما جلس (كين) على

منضدة الجراحة ، وكان ثمة مكبر صوت فوق رأسه
يقود إلى (شارون - 1) ، وتمع ضوء اصفر بمعنى
(استعد) ..

تغير الضوء للأحمر ، فأغضض (كين) عينيه ، ثم
جاء صوت (شارون) :

- « هنا (شارون) يتكلم هنا (شارون)

يتكلم .. هل أنت بخير ؟ »

أجاب (كين) بصوت مسطح خال من الحيوية .

- « أنا بخير .. »

كان قد نام مغناطيسيا الآن ، وتمدد على المنضدة ،

والأسئلة التى كان البرنامج يوجهها له غير عشوائية

بل مرتبة بدقة ، كما اتضح لى ..

سأله (شارون) :

- « هل هناك ما يثير ضيقك ؟ »

- « إنه الانتظار .. أريد أن ينتهى الأمر سريعا

ولا أعبأ بشيء بعدها .. »

واستمر الاستجواب ، لكن كان أكثر ما قاله (كين)

مؤلما ، ولست راغبا فى تكراره هاهنا فقد اعترف

بآلامه ومخاوفه ، التى لم يصارح بها حتى نفسه قبل

هذه اللحظة ..

ثم جاء الصوت يقول له : .

- « أنت على ما يرام ولست وحدك .. والآن انهض يا (كين) .. »

فتح (كين) عينيه ونظر حوله ، ثم تساءل :

- « أقام (شارون) العزيز بعمله على ما يرام ؟ »
قلت له بصوت مبجوح وأنا كائب :

- « مائة بالمائة .. »

قال لي (ماك) بينما أنا أفك الأسلاك :

- « شكرًا يا (ستيف) . يمكنك الآن فهم احتياجاتنا
آلة بلا مشاعر شخصية لتجربى الاستجواب ، ولهذا
وجد (شارون) .. لكن كانت التجربة لتكون أفضل
لو كانت الطفلة معه .. »

- « الطفلة ؟ ! »

- « نعم .. هي مهمة جدًا ، وبدورها تنام
مقاطيسيًا ، وتبدأ في الثثرة كصراصير الحقل معه
دون تدخل من (شارون) .. وحين يفيقان لا يذكران
شيئًا مما حدث .. إن (كين) في النهاية سيدخل في
غيبوبة ، وستكون (نيكى) الصغيرة هي وسيلة
الاتصال الوحيدة به عنده .. »

ومشيت وحيدًا إلى البحر الرمادى الشائر ، شاعرًا
بحيرة لا تنتهى ..

وفي الأيام التالية تكررت التجارب في وجود الطفلة ..
في البداية كان (شارون) يقول لـ (كين) إنه في
السابعة من عمره وأن (نيكى) جاءت لتلعب معه ..
ثم يقول لـ (نيكى) إن (كين) جاء ليلعب معها ..
عندها يسترسل الاثنان في النهو دون تدخل من
(شارون) ، وتنمو صداقة حميمة بين الاثنين يومًا
فيوم ، وهي صداقة لا يعرفان عنها شيئًا حين يفيقان ..
ونقد سألت (روبى) عما يشعر به آل (جاتوس) ،
فقال :

- « إنهما سيفعلان أى شيء من أجل (ماك) ،
ويحسبان أن هذا سوف يساعد (نيكى) .. »
- « ويعرفان أن (كين) سيموت ؟ »
- « أخبرتهما لكنهما لم يصدقًا حرفًا .. من يمكنه
أن يشك ما دام (نيكى) بهذه الحيوية ؟ »

★ ★ ★

في (ديسمبر) جاعنا من (لندن) خبر رهيب ..
إن الوزارة ترغب في إرسال مفتش يتفقد سير العمل

فى (ساكسمير) وقررت أن اذهب أنا إلى (لندن)
لأكتم أنفاسهم لقد صرت الآن مع (ماك) فى كل
شء يفعل ..

وهكذا استطعت إقناع مسئولى الوزارة بأن زيارة
فى هذا الوقت المبكر هى استباق لنضج الثمرة ، لكننا
نأمل فى ظهور شء قبل رأس السنة .

عدت إلى (ساكسمير) لكنى - على المحطة -
لم أجد (كين) ينتظرنى ببسمته المشرقة ، لقد
أصيب بالبرد ولزم الفراش ..

كان الفتى فى الفراش محتقن الوجه ، لكن مغنوياته
ممتازة ، وقال لى :

- « لا تقلق لقد اصطدت الطيور فى المستنقع ،
وابتلت قدمائى قليلاً .. »

رحلت أحدى له عن (لندن) ، ثم فارقته لأرى
(ماك) .. الذى قال لى :

- « لقد ارتفعت حرارته وأجرى (روبى) تحليلاً
لدمه .. ليست النتيجة مطمئنة جداً .. »

وصمت ثم قال بعد برهة :

- « لربما كانت هذه هى المرة .. »

وشعرت بالقشعريرة إذ أردف :

- « لقد أصيب (كين) بعدوى فى رسته اليمنى ،
وهى فى الغالب قاتنة مع فقدان المناعة المصاحب
لصرطان الدم .. »

وفى الصباح جاء (ماك) تعرفتى ليخبرنى :

- « ان الأمور اسوأ ولسوف يجرى (روبى)
نقل دم للفتى .. »

- « قل لى ما على أن أفعله .. »

- « ساعدنى على إعداد (سارون - ١)
و (سارون - ٢) فإن لم يستجب (كين) كن علينا
أن نبدأ المرحلة الأولى من مشروع (ستيكس) ، وقد

أخبرت مسز (جتوس) أننا قد نحتاج إلى ابنتها »
وفى المعمل كان (كين) مع (روبى) ؛ بينما

عملت أنا على الجهازين ، وكان كل شء على
ما يرام . وبعد ذلك حدث تحسين طفيف لـ (كين)

فى الرابعة والنصف جاءنى (روسى) فى قاعة
المنج - بونج ، ومن وجهه عرفت ان الأمور ليست

على ما يرام . هز رأسه حين اقترح (ماك) نقل دم
آخر ، وقال إن هذا مضيعة للوقت ..

.. « هل ما زال بوعيه ؟ »

.. « نعم .. »

كان الجزء الثانى من عملية (ستيكس) ، يتضمن وضع وحدة أوكسجين جوار فراش (كين) ، وإعداد مكبرات الصوت .. كل شيء تم التدرب عليه من قبل طويلاً ..

لقد انتظر (ماك) هذه اللحظة لعدة أشهر .. وربما أعوام ..

ضغطت على زرّ (شارون) ، واختلست نظرة إلى (كين) .. حقا قد تبدل تماماً ، واختفت عيناه اللامعتان فى وجهه المجعد ، وبدأ حائراً إذ ثبت (روبى) الأقطاب على صدغيه وصدره .. كان يعرف أن هذه آخر مرة يراها فيها وهو بكامل وعيه .. شغلت النظام كاملاً ليتعالى الصوت : هنا (شارون) ينادى .. هنا (شارون) ينادى .. وأغمض الفتى عينيه ..

سأله الحاسب الآلى :

.. « كيف تشعر يا (كين) ؟ »

حرك شفتيه ، وبصر سمعنا الإجابة :

.. « أنت تعرف كيف أشعر ! »

.. « وأين أنت ؟ »

.. « إن الجو بارد .. بارد .. هم يريدون تجميدى كالحم لدى الجزائر .. قل لـ (روبى) أن يعيد الحرارة .. إننى أقف أمام نفق .. كأنه الناحية الأخرى من تلمسكوب .. قل لـ (روبى) أن يعيد الدفء .. »
وثب البرنامج إلى النقطة التالية على الفور :
.. « إن عمرك خمسة أعوام يا (كين) .. قل لنا ما تشعر به .. »

ساد الصمت ، ثم همس (كين) كما توقعت :
.. « أنا لست على ما يرام ، ولا أريد أن ألعب .. »
هنا انفتح الباب ودخلت (نيكى) .. لقد استدعاها (ماك) الآن ، ولم تكن ترى ما يدور : لأنها كانت تحت السيطرة ..

جلست على مقعد .. وأغلقت عينيه ..

.. « قولى لـ (كين) إنك هنا يا (نيكى) .. »
اعتصرت مسندى المقعد بيديها ، وقالت :
.. « (كين) مريض .. لا يريد أن يلعب .. »
.. « إجعلى (كين) يتكلم يا (نيكى) .. »

- « (كين) لن يتكلم .. إنه يتلو صلاة .. »
وبدأت الطفلة تصرب الأرض بقدميها وقتت :
- « لن أذهب في النفق يا (كين) معك .. »
مظلم .. »
- « أذهبى خلف (كين) يا (نيكى) ! »
- « لكنه مظلم .. »
وراحت تصدر حركات متلوية لليمين واليسار بجسدها ، وتبكي :
- « لا أريد أن أذهب .. إن النفق طويل .. »
امر (ماك) بتثبيت قناع الاوكسجين على وجه (كين) ، ثم واصل التجربة :
- « ابقى مع (كين) يا (نيكى) .. »
تمنيت لو كان (ماك) يعرف ما يفعله ماذا لو دخلت الفتة في غيبوبة ولم نستطع إستعدادتها ، وأمرنى (روبى) أن اصع بطاينة على جسد الفتى التهمد وعلى شاشة (شارون - 3) رايا الموجات الكهربائية التي تدور في رأس (كين) الان فجأة عقدت الفتة يديها على صدرها حيث جنست . ثم شت ركبتيها الى بطيها ، وسقط رأسها إلى الامام

بدا لي كتها تصنى ثم ادركت انها تتخذ وضع الحنين في بطن أمه وتجعد وجهها فبدت كامراة عحوز وقال (روبى) وهو يتحسس سض الفتى - « إنه يرحل .. »
بدت الإشارات على الشاشة خففة ، ثم تزايدت فجأة .. وقال (روبى) :
- « انتهى الأمر .. إنه ميت .. »
لكن الإشارة لم تنقطع وقال (ماك) في حماسة :
- « لقد فعلناها ! »
ووقفنا عدة دقائق نرمق شاشة (شارون - 3) الذي اخترن الطاقة السادسة في عقل (كين) ، الى أن قال (روبى) :
- « ماذا عن الطفلة ؟ »
كما قد نسيناها تماما ومددت يدي لاغلق الحاسب لكن (ماك) منعنى :
- « دعها لنر ما ستقول .. »
واستدعانا بالإشارة مكررا اخر جملة قيت .
- « ابقى مع (كين) قوئى لنا ماذا يحدث . »
في النهاية تراخى جسدها وراحت تهتز اماما وحفا ، وبصوت بدا لي عريبا مبحوح قلت :

- « إنه يرجوكم أن تتركوه .. دعوه يرحل ! »

وبدأت تشهق من أجل التنفس ، وتهتز :

- « دعوه يرحل ! دعوه يرحل ! »

قال (روبى) فى توتر :

- « (ماك) ! يجب أن توقفها ! »

وبدأت الطفلة تشرق وتتعايل أكثر فأكثر ..

لم أنتظر (ماك) وضغطت على الزر ليتعالى

صوت (شارون) :

- « انتهى الأمر .. انهضى يا (نيكى) .. »

زال الاحتقان عن وجهها .. وبيضاء فتحت عينيها ،

ونظرت إلينا ، ثم باكفهرار قالت لنا :

- « أريد الذهاب إلى الحمام .. »

فاقتادها (روبى) إلى هناك ..

قال (ماك) لى بصوت حاد :

- « لو لم يصبك الهلع وتوقف التجربة ، فلربما

عرفنا أكثر .. »

- « الطفلة كانت تختنق .. »

- « لا أعتقد هذا .. لقد كانت تمر بـ (صدمة

الميلاد) .. وما بدا لك اختناقاً لم يكن سوى أول

شهيق يأخذه الوليد .. لقد عاد (كين) فى أثناء

الاحتضار إلى تلك اللحظة ، وكانت (نيكى) معه .. »

قلت له :

- « إن صعوبة التنفس حدثت بعد وفاة (كين) ..

لا يمكن أن يكون (كين) قد عاد للحظة الميلاد ..

لأنه كان قد مات فعلاً .. ألا ترى هذا معنى ؟ »

لم يجبنى .. قال بعد صمت :

- « لا أعرف .. لا أعرف .. »

هنا عاد (روبى) وقال لنا :

- « لقد نالت الطفلة ما يكفى .. لقد أرسلتها للبيت

وأمرت أمها أن تدخلها الفراش .. »

ولم أكن قد سمعته يتحدث بهذه النبرة من قبل .

ولردف :

- « ألا ينطبق هذا علينا جميعاً ؟ سنحتفل بالأمر

غداً لكن ليس الليلة .. »

كان على وشك الانهيار العصبى ، وكذا كنا جميعاً ..

بعد قليل جاء (جاتوس) ليخبرنا أن ابنته نامت

على الفور .. لقد انتهى الأمر فلم يبق إلا أن نتناول

عشاءنا ، ثم نظفر براحة النوم العظيمة ..

تكن حفرا اقوى منى دفعنى الى العودة وحدى
تعمم كان كل شيء كم تركناه والجسد مغطى
بالملاء والشاشة تتراقص عليها الاسرار
ادرت التسريط لاسمع اخر ما قاتته الطفلة

- « انه يرجوكم ان تتركوه دعوه يرحل »

ثم تعالى شهيقتها المختق ..

رفعت رأسى فوجدت (ماك) واقف عند الباب
والكلب معه ..

- « (سيربيروس) قلق انه لا يكف عن
الحركة فى غرفتى ، ولا يدعى انا .. »

قلت :

- « (ماك) .. ثمة شيء خطأ .. »

- « انظر الى الشاشة تر الاشارة لقد نجحت
التجربة .. ان الطاقة هنا .. »

- « نعم تكن هل هذا كل شيء ؟ عندما قاتت

الطفلة هذا ، كن (كين) ميت ما الذى قد دعوى
ارحل هل كنت له شخصية قادرة على الكلام

مالم

- « مالم ماذا ؟ »

- « مالم يكن ما نراد على الشاشة هو حوهر
وجود (كين) نفسه .. »

نظر لى غير مصدق ، ورحنا نرمق الإشارة على
الشاشة .. عندها فقط بدأ إحساسنا بالترعب والذعر
- « (ماك) .. ما هذا الذى فعلناه ؟ »

فى الصباح اتصلت بنا مسز (جتوس) لتخبرنا أن
(نيكى) تقوم بأعمال غريبة .. ولا تكف عن القفز
للأمام والخلف .. لم تكن محمومة لكنها لم تأكل
إفطارها ولم تتكلم ..

جنسنا فى غرفة الطعام شاردين . ونهض
(روبى) مسرعا قائلا :

- « سأذهب على الفور .. هذا تأثير ما حدث أمس ،
وما كان لى أن أسمع به .. »

- « قال (ماك) :

- « أنت تعرف أن هناك خطرا من البداية ، وبرغم
هذا وافقت .. »

- « كنت مخطئا .. هذا كل شيء .. »

- « ما كنا لننجح بدونها .. »

وانطلق (روبى) دون كلمة ليستقل سيارته ..
عدنا إلى المعمل حيث كان (جاتوس) يعدّ جثة
(كين) المسكين .. هنا نق جرس الهاتف وسمعت
صوت (روبى) :

- « يجب أن نبعد الطفلة .. تبدو لى الحالة
د. (كاتاتونيك شيزوفرنيا) .. إن ممز (جاتوس)
لا تستطيع التصرف ، ولو سمح (ماك) سآخذها إلى
العيادة النفسية فى مستشفى (جاى) .. »

شرحت الأمر لـ (ماك) ، فتناول السماعة وقال :
- « اسمع يا (روبى) .. أنا مستعد لتحمل مسئولية
وضع الطفلة تحت سيطرة (شارون) ثانية .. »
لم يبد (روبى) متحمساً .. فأشار لى (ماك)
وناولنى السماعة :

- « قل لـ (روبى) أن ينتظر قليلاً .. »
واتجه إلى (شارون - 2) وشغلته .. وسرعان
ما بدأت إشارة الاستدعاء ..

هنا سمعت (روبى) يصرخ : ماذا حدث ؟ ثم
صوت السماعة يسقط .. أصوات بعيدة وصراخ لمدة
دقيقة .. أخيراً جاء صوت (نيكى) فى الهاتف ..
كانت حائرة خائفة ، وقالت لـ (ماك) :

- « أنا خائفة .. ثمة ساعة تدق فى مكان ما ،
وأنا لا أحبها .. »

- « أين هى يا (نيكى) ؟ »
لم ترد .. بعد قليل قالت :
- « هى فى كل مكان وأنا لا أحبها .. (بنى)
لا تحبها كذلك .. »

(بنى) ؟ هنا تذكرت أنها أختها التوعم المتوفاة ..
كل هذا لا يحتمل .. ما كان لنا أن نزوج بالطفلة فى
هذا كله ..

أدار برنامج (شارون - 2) ليتعالى الأمر .
- « ابقى مع (كين) .. قولى لنا ماذا يحدث .. »
هنا صرخت .. ولا بد أنها سقطت أرضاً لأننا سمعنا
السماعة تسقط ، ثم جاء صوت (روبى) :
- « بحق السماء يا (ماك) .. سئقتلها .. كف
عن هذا ! »

- « وماذا تفعل هى ؟ »
- « مثل أمس .. كأنها تختنق .. انتظر .. إنها
تريد أن تكلمك .. »
وبعد لحظات جاء صوت الطفلة :

ودخلنا لتجد (ماكسين) واقفاً أمام (شارون - 3) ..
كانت الشاشة تلمع لكن ما من إشارة عليها ..
لاحظت هذا ولم أقل شيئاً ..

قال لى (ماك) دون أن يعير الرجلين انتباهها :
« نعم .. لقد فصلت كل شيء ، وفقدنا القوى ! »
شعرت بدلاً من الراحة بالشفقة .. الشفقة على
الرجل الذى دمر فى خمس دقائق عمل أشهر كاملة ..
« لم ينته الأمر بل بدأ .. وما حدث لن يعرفه
سوى ثلاثتنا . كنا على حافة اكتشاف لم يتصوره
أحد .. لكن ما قالته الطفلة أثار قلقى ، ولهذا أطلقت
سراح الطاقة .. إن (كين) حر الآن وكذا الطفلة ..
لكننى مستعد لمواصلة البحث حتى آخر أيامى .. »

ثم همس :

« قل لهذين الموظفين إن تجاربنا فشلت ، وإننى
تركت العمل .. الآن يا (ستيف) نحن ملك أنفسنا ..
إن الطفلة ستكون على ما يرام فاذهب إليها وابعث لى
بـ (روبى) .. سأعامل أنا مع هذين (المخبرين)
من الوزارة .. »

اتجهت إلى الخارج ، ونظرت إلى المستقبل ..

كان (سيربيروس) يركض بجوارى ينظر لى
من آن لآخر ..

لقد حطم (ماك) - بيديه - الخيط الوحيد الذى
جلبنا هاهنا .. لقد امتلكه بضع ساعات .. وكان
يقودنا لعالم تلو عالم من الاكتشافات ..

الآن قل تصديقى بالأمر .. ربما كنا مخطئين ..
خدعتنا عواطفنا وآلام طفلة متخلفة عقلياً وخائفة ..
صعدت إلى الهضبة لأرى أكواخ حرس الشاطئ من
عل . ورأيت (روبى) يخرج من الكوخ مع الطفلة ،
وكانت على ما يرام ..

جرت لتحىي الكلب .. ثم راحت تركض ، نراعاها
فوق رأسها ، تضحك ، ترقص ، والكلب ينبع فى
إثرها . ودوت أبواق من القاعدة العسكرية الأمريكية ..
ثم لم يعد من صوت سوى النباح ، ورقص الطفلة ،
والأبواق الرفيعة تتردد فى السماء ..

مهنتي هي معلم أو كاتبة مطما ، وقد قدمت
استقالتى لناظر المدرسة قبل أن يجرء طردى الذى
لا مفر منه ..

كان السبب الذى قدمته للاستقالة هو المرض ،
بسبب عدوى التقطتها فى أثناء عطلة فى (كريت) ،
ولربما اضطررتى للبقاء فى المستشفى عدة أسابيع ..
لم أوضح طبيعة المرض لذا عرف وقام بالباقى ..
إن شكواى عامة ، ومنذ أقدم العصور كانت تهبث جواً
من المرح والمخزية لدى الناس ، حتى يتجاوز
المريض الخط ، ويصير تهديداً للمجتمع ..
يتحاشى بعض الناس أن يقابل عيوننا ، ونترك
وحننا نحاول الخروج من الخندق لو نضل هناك حتى
نموت ..

ولئن بدوت مليناً بالمرارة ، فلأن عدواى جاءت
وأنا برىء تماماً ..

ربما استطعت أن تغزو عدوى معائلة إلى الوراثة
أو الإهمال أو مشاكل الأسرة ، ويلقى أمثالى بأنفسهم
على أريكة المحلل النفسى ، يسكبون ما فى أنفسهم
ويشفون .. لكنى عن ذلك عاجز ..

ليس بعد منتصف

الليل



إن الطبيب الوحيد الذى صارحته بما بى ؛ تكلم قليلاً عن (الشعور المكبوت بالذنب) وأعطانى بعض أقراص ، ربما تحسنت لو أخذتها لكنى لم أفعل ألقيتها فى البالوعة .. وزاد حالتى سوءاً الشباب الذين كنت أعتبرهم أصدقائى ، والذين كانوا يتغامزون عندما يروتنى أو يحبسون الضحكات ، حتى جاء اليوم الذى قررت فيه عجزى عن الاستمرار ، وقرعت باب الناظر .

حسن .. لقد فرغ هذا .. انتهى .. والآن أريد أن أشرح ما حدث فى المقام الأول .. ومهما يحدث لى سيجدون هذه الأوراق ، ويمكن للقارئ أن يقرر أن ما حدث كان نتيجة للخوف فوق الطبيعى ، أو أننى سقطت فريسة لسحر قديم أسود شرير ، فقدنا جذوره منذ فجر التاريخ ..

كان الوقت فى (أبريل) - عيد الفصح - وكنت قد زرت (اليونان) كثيراً ، لكنى لم أقرر (كريت) لم يكن غرض زيارتى لـ (كريت) هو رؤية أطلال المدن القديمة كـ (كنوسوس) و (فيستوس) ، ولكن كى أمارس هواية شخصية . كانت لدى موهبة فى الرسم

بالزيت ، وقد أمتدح عملى بوسطة صديق أو اثنين من هواة الفن ..

هنا أتحدث باختصار عن حياتى : أنا عزب ، فى التاسعة والأربعين ، والدائ متوفيان ، تعلمت فى (أوكسفورد) وألعب الجولف والبريدج ..

أهوى الرسم والسفر حين أجد المال .. خطاياى حتى الآن هى - حرفياً - لا شيء .. ليس هذا غروراً .. لكننى رجل خمول غير مندفع عاطفياً ، ولم يضايقتنى هذا قط .. وكنت أكره الاختلاط بالناس . لى صداقات غير عميقة لأن تعميق الصداقات يؤدى دوماً إلى كارثة ..

سافرت إلى (كريت) لا أحمل سوى حقيبة صغيرة وأدوات الرسم ، وقد أوصى لى عميل شركة سياحة بفندق بطل على خليج (ميرابلا) على الساحل الشرقى . شاليهات على البحر مباشرة ، ولست مبذراً ، لكنى سمحت لنفسى بأن أضيف لنفقاتى تكاليف استئجار سيارة (فولكس فاجن) صغيرة ، لدى وصولى إلى مطار (هيراكليون) ..

قطعت أربعين ميلاً مرهقة في الطريق لوجهتي ،
خاصة وأنا سائق حذر ، في طريق متعرج رهيب ..
أخيراً وصلت إلى الفندق ، فتناولت الغداء في الشرفة
المطلّة على البحر ، وبعدها اقتادني السائق إلى حديقة
ملأى بأشجار (الجيراتيوم) ، وبها شاليه بطلّ على
البحر ، وأسرة إنجليزية ابتسمت لي الأم فيها من
الشرفة . ورأيت رجلين يلعبان الجولف ..
صحت محتجاً :

- « هذا غير وارد .. لقد جئت هنا كي أرسم البحر
وحدى .. »

وعدت إلى الفندق لأقول لموظف الاستقبال :
- « لا بد أن هناك خطأ .. لقد طلبت شاليهاً بطلّ
على البحر ، والخصوصية بشكل خاص .. »
ابتسم واعتذر ، وراح يقلّب الأوراق .. إن وكيلى
لم يحجز لي شاليهاً على البحر .. ربما بعد أيام يلغى
أحدهم الحجز ، سأكون مستريحاً حيث أنا ..
قلت غاضباً وأنا لا أطيق فكرة السجن مع تلك
الأسرة الإنجليزية :

- « أنا بروفيسور أدرس الفن .. وعلى تنفيذ

مجموعة رسوم ما دمت هنا ، ومن المهم أن أرى
البحر ، وألا يكون حولي جيران »
كان جواز سفرى قد كتب فيه أنتى (بروفيسور) ،
وهى أرقى من لفظة (أستاذ) .. وكانت تشير الاحترام
دائماً ..

راح يقلّب الأوراق أمامه مرهقاً .. فقلت :
- « لا أصدق أن كل الشاليهات محجوزة .. الوقت
مبكر جداً .. ربما حين يتوغل الصيف ، لكن ليس
الآن .. »

وأشرت إلى الشاليهات عند الشمال ، وقلت :
- « هل هذه محجوزة أيضاً ؟ »
- « إنها باهظة الثمن .. فيها حمام وجهاز هاتف
لكل منها .. »
أجريت حاسبة صغيرة بعد ما عرفت الثمن ..
يمكننى اقتطاع نفقاتى والاستغناء عن وجبة الغداء ،
والامتناع عن مغادرة الفندق .. لذا قلت بعظمة :
- « حسن .. لا مشكلة .. سأدفع من أجل
الخصوصية .. ولو لم يكن لديك اعتراض سأذهب
لأختار للشاليه المناسب .. »

ولم أعطه وقتاً للرد واستترت مبتعداً .. من المفيد أن يكون المرء حازماً .. إن هي إلا دقيقة تردّد ويرغمني على البقاء حيث أنا ..

ارتفعت معنوياتي عندما رأيت البحر .. الماء يغسل الصخور ، وشاطئ ممتد بلا مستحمين .. كل النوافذ مغلقة ما عدا واحدة .. كان هذا الشاليه مناسباً جداً فهو يريني أجمل منظر للبحر والخليج ..

نظرت عبر النافذة المفتوحة إلى غرفة النوم .. كان بها فراش جواره منضدة عليها هاتف ومصباح ، الجدران بيضاء والأرض صخرية .. فيه كل بساطة محراب راهب ، لكني لا أطلب أكثر ..

سمعت من الحمام صوت ماء متدفق .. أية خيبة أمل ! إذن فالشاليه محجوز بعد هذا .. نظرت عبر الباب المفتوح فوجدتها الخادمة الإغريقية الشابة تنظف أرض الحمام ، وأصابها الرعب حين رأتني فأشرت لها .. وسألتها :

- « هل هو محجوز ؟ »

أجابتنى باليونانية ، وأمسكت بخرقة التنظيف ، خائفة اندفعت إلى الباب وتركتني دون أن تتم عملها .

دخلت غرفة النوم وأمسكت بالهاتف ، وطلبت موظف الاستقبال :

- « أنا مستر (تيموثي جراي) »

- « نعم يا سيدي .. من أين تتحدث ؟ »

وضعت السماعة وخرجت إلى خارج الشاليه .. كان الرقم على الباب هو (62) ..

- « أتحدث من الشاليه الذي اخترته وهو مناسب جداً .. إنه الوحيد المفتوح هنا .. ورقمه هو (62) .. » لم يرد فوراً وبدأ متشككاً :

- « تقول رقم (62) ؟ لا أعتقد أنه متاح يا سيدي .. » وراح يتكلم باليونانية مع شخص بجواره .. فسألته :

- « هل هناك مشكلة ؟ »

- « لا مشكلة يا مستر (جراي) .. لكننا نشعر أنك ستكون مستريحاً أكثر في رقم (57) .. وهو دان من الفندق .. »

- « هراء .. المشهد أفضل من هنا .. »

- « ليكن يا سيدي .. لو صممت سأرسل لك

الحمال بالمفتاح .. »

وعاد تخنم باليونانية ثم وضع السماعة ..

سأفرغ حقائبي وأصبح ، ثم أرسم لوحة مبدئية قبل
أن أبدأ العمل الجاد صباح غد . وجاء الخمال يحمل
حقيبتى ولوحة الرسم .. رأيت الخادمة تقابل الخمال ..
تبادل حديثاً هامساً معه .. يبدو أننى حرقت الروتين
الهادئ هنا ..

« منظر رائع .. يجب أن أصبح ! »

قلتها بصوت عال ، وحركت يدي بحركة السباحة ،
وعلى وجهي الرغبة فى أن أرى ابتسامة اليونساتيين
المشرقة الحاضرة دوماً ..

تفادى الخمال عينى واتحنى بجديّة ، أما الفتاة
فكانت منزعة بحق ، ثم ابتعدا على الفور ، وهما
ينظران إلى الوراء فى توجس ..

فتحت حقائبي .. ثم خرجت إلى الصخور تحت
الشرفة ، وتحسست بإصبع قدمي الماء .. كان بارداً
بشكل غريب برغم الشمس التى تغمره ..

إلا أننى واصلت السباحة ولم أبتعد أكثر ، لأننى
بطبعي سباح حذر .. خرجت إلى الشاليه وجففت
نفسى ، وأنا أرمق القوارب تعود إلى المرفأ فى
سكون من بعيد ..

ثم أخرجت أدوات الرسم واتهمكت فى العمل ..
عملت لمدة ساعتين ، وسرعان ما صار لون البحر
أدكن ، والسماء القصية أرجوانية .. غدا يمكننى أن
أرسم الشروق باللون بدلاً من الفحم ..
أغلقت مصاريع النافذة ، واستعددت لأرتدى ثياب
العشاء ..

لمحت قارباً بخارياً متجه بنعومة إلى الجزء
الشرقى يمينى، وعليه ثلاثة مجائين صيد منهم امرأة ..
وانركت أن أحدهم يوناتى ، سرعان ما ترجل ليعين
المرأة على الهبوط ..

ورأيت الثلاثة ينظرون فى اتجاهى .. لبضع دقائق
راحوا يرمقوننى ، والرجل الجالس فى القارب وراء
الدفة يسلط على منظرنا مقرباً يتفحص به كل
تفصيلة فى شكلى ، الذى - يعلم الله - لم يكن ملفتاً
للنظر ..

شعرت بضيق فانسحبت للداخل ..
لا بد أننى أثرت اهتمامهم بظهورى وسط هذه
الشاليهات الخالية . لن يمر وقت طويل قبل أن
ينسونى ..

وفي الثامنة قصدت الفندق . دخلت قاعة الطعام
فاتقيت منضدة في الركن تناسب حبي للوحدة ،
واستمتعت بالعشاء وبدأت في تقشير برتقالة ، حين
سمعت صوت ارتطام قوى في الناحية الأخرى من
القاعة ..

كان صوت أمريكي قادم من الجنوب يصيح بصوت
عال :

- « بحق السماء نظفوا هذه الفوضى ! »

كان رجلاً عريض المنكبين في منتصف العمر ، له
وجه لوحته الشمس كأنما مليون نحلة لدغته ، وكان
أصلع الرأس وجلد رأسه وردياً مشدوداً كقطعة سحج
توشك على الانفجار .. وله شارب سميك لم يخف
شفته السفلى السمكية الرطبة .. قلما رأيت شخصاً
منفرداً كهذا ..

وجواره كانت امرأة - اعتقد زوجته - في منتصف
العمر ، لها وجه ملوح كزوجها ، وكانت تجلس
بلا حراك ..

كان الناس قد فرغوا من إرواء فضولهم ، لكنني
ظللت أرمق الزوجين وهما ينهضان قاصدين البار ،

واستطعت أن أرى أداة السمع في أنفها .. لهذا لم
تسمع الضوضاء ، وهكذا تتحمل صوت زوجها الغليظ .
ولاحظت براعة عاملى الفندق الذين نظفوا الأرض
بسرعة ودقة ..

قال لي الساقى :

- « القهوة في البار يا سيدي .. »

كنت أمقت الضوضاء والصوت العال ، لكنني أمقت
كذلك أن أفوت قهوة ما بعد الطعام ، لهذا نهضت ..
كان البار خالياً ما عدا الساقى خلف المنضدة ،
والأمريكي وزوجته ، وموسيقا راقية تعزف من مكان ما ..
سألني الساقى عما إذا كنت أمضيت يوماً طيباً
فأجبت أن نعم ..

لقد كانت رحلتى ممتعة ، ووجدت شاليهاً ممتازاً
هو رقم (62) ..

غريب هذا ! كان يلعب كوباً فتوقف فجأة .. بدا
كأنما سيقول شيئاً ثم عدل عنه ..

- « أغلقوا هذا التسجيل الكريه ! »

كان هذا هو صوت الأمريكي الغليظ ، فاتجه
البرلمان إلى (الجراموفون) وخفض الصوت ..

- « أحضروا لى زجاجة أخرى ! »

لو كنت مكان الساقى لكلمت الرجل كما يكلم أب
ابنه ، ولطابت منه أن يقول : من فضلك .. لكن
الساقى فعل كما أمر الوحش ..

هنا دوى صوت الأمريكى من جديد :

- « هيه ! أنت يا شاليه (62) ! أنت لا تؤمن
بالخرافات ! »

استدرت نحوه ، وتذكرت الكياسة التى يجب على
المرء أن يعامل بها المجائين والسكران .. وبلطف
قلت :

- « لا .. لا أؤمن بها .. هل يجب ذلك ؟ »

احمر وجهه أكثر ، وضحك :

- « حسن .. سحفاً ! لو كنت مكانك لفعلت .. لقد
غرق أحد نزلاء ذاك الشاليه منذ أسبوعين ، وانتشل
الموظفون جسده بعد يومين ، وقد التهمه الأخطبوط ! »
وراح يهتز ضحكاً ويضرب على ركبتيه .. استدرت
للساقى متسائلاً فقال :

- « نعم هو حادث تعس .. كان مستر (جوربون)
رجلاً طيباً يعشق الآثار .. وقد اختفى فى ليلة حالمة

سبح فيها بعد العشاء .. لكننا لا نتكلم عن هذا هنا ..
أنت تفهم .. سيكون هذا ضاراً بالـ (بيزنس) ..
وأؤكد لك أن الماء آمن ، وهذا أول حادث من
نوعه .. »

- « آه .. دعك من هذا .. »

لكنى تضايقت من فكرة أن الشاب المسكين كان
آخر من استعمل الشاليه الذى أقيم به . لكن الأمر
لا يتساوى طبعاً مع أن يكون مات فى الفراش ، ولم
أكن مؤمناً بالخرافات ، لكنى فهمت سرّ ذعر الخادمة
الشابة ..

هنا صاح الصوت الغليظ :

- « دعنى أقل لك شيئاً : ليس بعد منتصف الليل !
لا تسبح بعد منتصف الليل حتى لا يظفر بك
الأخطبوط .. »

وانفجرت ضحكاته ثانية ، قبل أن يصطحب المرأة
وينصرف ..

حين خلعت الغرفة تنفست بارتياح ، وقلت للساقى :

- « يا له من رجل مستحيل ! ألا تستطيع الإدارة
الخلاص منه ؟ »

هز كنفه وقال :

- « (البيزنس) هو (البيزنس) . فماذا يفعلون ؟
الأمريكان لديهم مال كثير . وقد وصل آل (ستول)
هنا لثاني موسم .. إنهم مجائين يحبون الصيد ،
ومستر (ستول) يخرج للبحر يوميًا يصطاد من
الصباح حتى الغروب .. لكنه لا يجلب السمك للفندق
أبدًا بل يعطيه للنوتى .. »

- « كم أشعر بالشفقة على زوجته .. »

- « حقًا .. لكنها هي من يملك المال .. إنها
لا تفارقه أبدًا وتذهب إلى الصيد معه .. إنها تراقبه
جيدًا برغم صممها .. »

غادرت البار عائدًا إلى الشاليه ..

كان الهواء منعشًا ، له رائحة البذور المزروعة في
أرض حمراء . وكانت النجوم تتلمع في السماء ..
وفي الشاليه وقفت أرمق الجبال النائية والبحر وقلت
لنفسى : كم هي بقعة جميلة ..

دخلت الفراش وأضأت المصباح بجواره .. كانت
الغرفة ودودًا دافئة .. قبل أن أمد جسدى تذكرت
الكتاب الذى تركته بالشرفة .. كنت بحاجة إلى قراءته ..

فتحت مصراع النافذة وخرجت لأتقطعه ، وقبل أن
أدخل نظرت إلى البحر تحتى ..

أكثر الأضواء كانت منطفئة فيما عدا ضوءًا فى
شرفة شاليه بعيد .. وفى الضوء رأيت شيئًا يتحرك
فى البحر نحوى .. كان أبواب تهوية كمنظار
الغواصة يبرز من تحت سطح الماء ، لشخص يتحرك
هناك .. ثم اختفى إلى اليسار ..

أغلقت المصراع ودخلت ..

لا أعرف السبب .. لكن منظر هذا الشيء أثار قلقى ،
وذكرنى بالفريق الذى هلك بعد منتصف الليل لانه
أنه غرق فى ليلة دافئة كهذه إذ حاول أن يسبح تحت
الماء ليلاً ..

قرأت بضع صفحات ، ثم أطفأت النور ..

هنا سقط الهاتف على الأرض ، فاتحنت والتقطته ..
ولاحظت أن الدرج كان مفتوحًا ، وبه بطاقة عليها
اسم (تشارلز جوردون) ..

أعرف أن (جوردون) هو اسم من سبقنى .. ثمة
كلمات مكتوبة على جانب البطاقة الآخر تقول : ليس
بعد منتصف الليل ..

ثم بعد هذا رقم (38) ..

دسست الورقة فى الدرج .. وبرغم أننى كنت مرهقاً فلم أستطع النوم قبل الثانية صباحاً ، ولو قُت طويلاً ظلمت أصفى للماء يصطدم بالصخور تحت شرفتى ..

ظللت أرسم ثلاثة أيام ، فلم أفارق الشاليه إلا لأصبح أو لأتناول طعام الإفطار أو العشاء ، ولم يضايقتنى أحد .. وكنت أستبقى من الإفطار ما يكفى للغداء .. وكانت الخادمة تأتى لتسقى فراشى صباحاً .. كدت أنتهى من رسم المشهد الانطباعى ، وبدأ لى مرضياً جداً ، لذا قررت أن أستريح وأن أستكشف الساحل قليلاً ..

كنت أعرف الآن أن قارب المستر (ستول) المزعج هو الذى أراه جوار الشاليه المضىء إياه .. كان يخرج مع زوجته للصيد فى الصباح المبكر فلا أراهم يرحلون ، لكنى كنت أراهم عند العودة ، وأسمع سبابه للرجل الذى يرافقهما فى الرحلة .. فليفعل ما يريد ما دام بعيداً عنى ..

كان الشاطئ فى الناحية الشرقية مكتظاً بالأجساد فوق كل بقعة رمل ، فحمدت الله على عزلتى ، وابتعدت عن الزحام لأجد نفسى وحيداً ثانية .. لم يكن القارب هناك ، ووجدت رغبة عارمة فى أن أختلس نظرة إلى شاليه المستر (ستول)

تسللت إلى هناك ، واختلست نظرة عبر خصاصى النافذة .. لم أجد ما يلفت النظر سوى مجموعة زجاجات ، وزوجاً من أحذية الغوص التى تشبه أقدام الضفادع ..

بالطبع ما كان مستر (ستول) ليمتطع بحالته الصحية هذه أن يغطس .. ولا بد أنه أرسل تابعه اليونانى ليقوص بحثاً عن (أبو جلمبو) وتذكرت أبواب التهوية الخارج من الماء ..

سمعت شخصاً قادمًا فابتعدت ، لأنى لم أرد أن يجدنى أحد وأنا أتلصص .. فقط نظرت لرقم الشاليه فوجدته (38) ..

لم يكن للرقم ساعتها معنى بالنسبة لى .. لكنى حين عدت للشاليه بحثت عن دبوس لرباط العنق ، فوجدت البطاقة .. إن الرقم عليها هو (38) ..

مصادفة طبعاً .. ولكن (ليس بعد منتصف الليل) ..
هذا هو الإنذار الذى وجهه لى (ستول) .. أترأه أنذر
(جوردون) أيضاً ؟ ولماذا يكتب الأخير النصيحة
ورقم شاليه قائلها على بطاقته ؟ لكن (جوردون)
البائس تجاهل النصيحة طبعاً ..

وضعت البطاقة فى حافظتى .. لربما كان من
واجبى إعطاؤها لموظف الاستقبال عليها تلقى بعض
الضوء على ما أصابه ، لكنى تجاهلت الفكرة ..
المشكلة أن هذا يورطنى فى قضية تم إغلاقها منذ
زمن ..

كنت لرى - إذ جلست فى غرفة الطعام - آل (ستول)
فى يمينى ، وذلك دون أن أثير راسى ..
كان محتقناً كقطعة سجن ينتهم العشاء ، بينما
الروجة صامتة شاردة ، تداعب الطعام بشوكتها ..
دنوت من الساقى فتبادلنا المجاملات التقليدية ، ثم
سألته :

- « من من نزلاء الفندق يهوى الغوص فى
الأعماق ؟ »
بدا الساقى مندهشاً :

- « لا أحد قنر ما أعلم يا سيدى . ليس بعد
الحادث .. كان المسكين مستر (جوردون) يهوى
الغطس تحت الماء ليلاً ، وكان من القلائل الذين يمكن
أن يتحدثوا مع مستر (ستول) .. وقد كانت لهما
مجادلة طويلة ذات ليلة فى هذا البار .. »
- « حقاً ؟ »

- « ليست مجادلة عن السباحة ، بل كانوا يتكلمون
عن الآثار .. إن هناك متحفاً جيداً فى قريتنا ، لكنه
مغلق حالياً للإصلاحات .. كان مستر (جوردون) ذا
علاقة بالمتحف البريطانى .. »

- « ما كنت لأحسب هذا يثير اهتمام صديقتنا
(ستول) .. »
قال الساقى :

- « مندهش لهذا .. إن مستر (ستول) ليس
أحمق ، وفى العام الماضى كان هو وزوجته يزوران
كل الأماكن المهمة فى (كنوسوس) و (ماليا) ،
وأماكن أخرى غير شهيرة .. لكن الأمر يختلف هذا
العام .. صيد السمك كل يوم .. »
- « ومستر (جوردون) ؟ أكان يصيد السمك
بنوره ؟ »

- « لا يا سيدي .. ليس على قبر علمي .. لقد استكشف الجزيرة والمنطقة كلها بسيارة استأجرها منك . لقد قال إنه يكتب كتاباً عن الآثار الموجودة شرقى (كريت) ، وعلاقتها بالـ (ميثولوجيا) اليونانية .. »

- « ميثولوجيا ؟ »

- « نعم . قال هذا وإن كان فهم هذا أقوى منى .. دارت المناقشة ، لكنى لم أسمع الكثير منها ، فقد كان البار مزدحمًا .. وكان مستر (جوردون) مهذبًا جدًا على طريقته إذا سمحت لى ، ويبدو مهتمًا بالموضوع ، وما كان الإغريق يفعلونه فى عباداتهم .. »

هنا تذكرت البطاقة فى جيبى .. هل أعطيها لموظف الاستقبال ؟

ودعت الساقى وغادرت القاعة ..

كان آل (ستول) يمشون أمامى ، فتكلمت قليلاً حتى ينتهدا .. وقفت أمام حامل عليه بطاقات كى أجد عنراً لتأخرى ، ورأيت مسز (ستول) تتناول معطفها من على شماعة فى المدخل . ثم إن الاثنين خرجا من الباب

متجهين لموقف السيارات .. كيف يقود (ستول) سيارته بحالته هذه ؟

حافز ما كالأذى يدفع صبيًا للعب دور المخبر ، جعلنى أتجه إلى سيارتى ، وحين ابتعدت سيارة (ستول) - (مرسيديس) - تابعته فى رحلته

كان هناك طريق واحد يتجه شرقاً نحو القرية .. لم ألق به برغمى ، وفى النهاية وصلت لمرقاً صغير .. وأخبرتني غريزتى أن أتوقف أمام مقهى محلى هناك .. كان هناك سياح كثيرون حولى ، وبعض السكان المحليين .. فقلت لنفسى : ليكن . سأجلس هنا وأشرب بعض الليمونادة ، وأستمتع بمراقبة المنظر والزحام ..

ولابد أننى جلست هناك حوالى نصف ساعة ، أرمق الأمر اليونانية التى تستشق الهواء النقى ، والحسان اللاتى ينظرون من طرف إلى الشباب ، وقسماً لوثونكسياً يجلس إلى منضدة مع بعض الشيوخ ، ومجموعة من شباب الهيز من بلدى أطول شعراً من أى شخص آخر وأكثر قذارة ، لا يكفون عن إحداث الضوضاء ، وحين أدلروا المذياع وجلسوا على الأرض ؛ عرفت أن وقت الانصراف قد حان ..

دفعت ثمن الليمونادة وخرجت إلى سيارتي .. هنا
وقعت عيني على بقعة ماء داخل البر ، حيث بدا أن
طريقًا جانبيًا ينتهي نهاية مسدودة .. لا بد أن هذا
ما يسميه دليل السياحة بـ (البركة التي لا قاع لها)
والتي يلتقط لها السياح صورًا كثيرة في الموسم ..
كانت بحيرة كبيرة ، تطفو القاذورات من فوق
مانها . ولم أستطع أن أجِد من يمارسون الغطس
فيها نهارًا ..

عندئذ رأيت (المرسيدس) .. كانت واقفة أمام
المقهى ضعيف الإضاءة ، ولم يكن من شك في الشكل
المنحني على المنضدة والزجاجات أمامه ، والمرأة
الجالسة بجواره . لكن لدهشتي - هل لاشمئززي -
لم يكن يشرب وحده ، بل مع مجموعة من الصيادين
خشنى الصوت على المنضدة المجاورة ..

ملأ الضحك الجو .. كانوا يسخرون منه كما هو
واضح .. لقد ذابت الرقة اليونانية في أكوابهم ،
وبعضهم راح يغنى بصوت عال ..

مذ يده وطوح بالزجاجات الفارغة إلى الرصيف ،
فهللوا وصعقوا مع صوت الزجاج المهشم .. وتوقعت
أن يصل البوليس في أية لحظة ؛ ليوقف الحفل ..

لم أبال بما يحدث لـ (ستول) إن ليلة في
السجن ربما تناسبه ، لكن هذا شنيع لزوجته ..
الأمر لا يهمني على كل حال ..

هنا وقف الرجل مترنحًا ، ولوح بالزجاجة نصف
المليئة فوق رأسه ، وبدقة شديدة قذف بها من فوق
رأسه ، نحو البحر .. لا بد أنه تفادى بقدمين فقط ..
كان هذا أكثر من اللازم ، لذا نهضت نحوه والغضب
يعميني .. وصحت فيه :

- « أية لعبة تلعبها بحق السماء ؟ »

وقف أمامي وتأرجح على قدميه .. كفا الضحك إذ
راقب الجالسون المشهد في اهتمام ، وتوقعت طوفاتنا
من السباب . لكنه جفد وجهه المحتقن إلى ضحكة ،
وقال :

- « هل تعرف شيئًا ؟ لو لم تقف في طريقى
لوصلت هذه الزجاجة إلى منتصف البحيرة .. أنا لست
(كريتيًا) . وهم أيضًا ليسوا (كريتيين) بل مجرد
أتراك .. ولا يوجد (كريتي) نقي الدم في (كريتي)
كلها .. »

حاولت أن أنزع نراعى من قبضته ، لكنه تمسك
بها كصديق وجد - أو ظن أنه وجد - صديقه القديم ،
وهي عادة العكاري ..

وصدر منه فواق ، وقال :

- « أنت من الفندق .. أليس كذلك ؟ لا تنكر يا فتى
فأنا لا أنسى الوجوه أنت الشخص الذى يرسم فى
الشاليه الكريه طيلة اليوم .. حسن .. أنا أحترمك
لهذا ، فأنا أعرف عن الفن قليلاً .. ولربما ابتعت
لوحتك هذه .. »

كان تودده كريهاً ، ورقته لا تحمل .. فقلت فى
جفاء :

- « آسف .. هي ليست للبيع .. »

صاح معترضاً :

- « أوه هلم ! أنتم معشر الفنانين تتشابهون ..
تتدللون حتى يقدم لكم أحد ثمناً باهظاً .. خذ
(تشارلى جوردون) على سبيل المثال .. أنت
لا تعرفه .. أليس كذلك ؟ »

- « نعم .. كان قبل مجيئى .. »

- « هذا حق .. إن البائس ميت . غرق تحت
الصخور أو وجدوه هناك .. »
وكانت عيناه فعلياً مغفقتين فى وجهه المنتفخ ،
لكنى عرفت أنه يراقبنى ..
قلت :

- « أفهم أنه لم يكن فناناً .. »

كرّر الكلمة بعدى ، ثم انفجر فى الضحك :

- « فناناً ؟ لا لم يكن .. كان خبير فنون ، لكن هذا
لم يفده كثيراً .. ألا ترى ذلك ؟ »

كان يبذل مجهوداً للتماسك ، ثم مّد يده فى جيبه
بحثاً عن عبية تبغ ، وأشعل واحدة لنفسه ، ثم
عرض على واحدة لقلت :

- « لا أدخن » - ثم يتحدّ أضفت - « ولا أشرب
كذلك »

أجاب فى دهشة :

- « ولا أنا .. إن الشراب الذى يقدمونه هنا هو
نوع من البول .. »

وجذبنى وقد بدا عليه التأمر إلى جانب ، وقال وهو
يشير إلى الجالسين :

- « هؤلاء أتراك ومنذ زمن طويل ، حوالى خمسة آلاف عام ، لم يصنعوا الصنف المناسب .. كانوا يعرفون طريقة صنعه آنذاك .. »

تساءلت :

- « أحقًا ؟ »

اتسعت عيناه الضيقتان ، ولاحظت أنهما جاحظتان بارزتان وبخشونة همس :

- « أعلم ؟ إن الباحثين فهموا كل شيء خطأ ..

لقد كان (الكريتيون) يشربون مزيجًا مختمرًا من نباتي (السبروس) و (اللبلاب الكبير) .. »

وثبت نراعًا على الجدار مستندًا ، وانحنى إلى الأمام وتقيأ في البركة ، حتى شعرت بالفغيان لنا نفسى ..

قال :

- « هذا أفضل .. بخلصنى من السم .. أقول لك :

سنعود إلى الفندق ، ونمضى الليلة فى الشاليه الخاص بى . إبنى ملت إليك يا سيد (ما اسمك) .. إن

أفكارك جيدة . أنت ترسم صورًا ولا تدخن .. فما عملك ؟ »

كان مستحيلًا التخلص منه .. ووجدته يشدنى إلى

الطريق ، ولحسن الحظ كان الموجودون بالمقهى قد تفرقوا ، إذ ينسوا من أن يضرب أحدهما الآخر .. وكانت مسز (ستول) فى السيارة المرسيدس الآن جالسة فى المقعد الأمامى ..

قال لى :

- « لا تهتم بها .. إنها صماء كالحجر .. ولدينا مكان فى المقعد الخلفى .. »

قلت :

- « آسف .. لكن سيارتى هاهنا .. »

- « كما تريد .. ولكن قل لى يا سيد (فنان) ما عملك ؟ هل أنت أكاديمى ؟ »

كان بوسعى تركه الآن ، لكن بعض الفخر الأحمق جعلنى أخبره بالحقيقة ، أملًا أن يدعنى وشائى ..

قلت :

- « أنا معلم فى مدرسة ابتدائية للأولاد . »

- « اتفتح فمه الرطب ضاحكًا ، وصاح :

- « رباه ! هذا جميل .. مدرّس .. مربية للرضع والأطفال .. أنت واحد منا يا فتى .. وبرغم هذا

تمنك الشجاعة لتقول إنك لم تجرب (اللبلاب) والـ (سبروس) قط ؟ »

كان مجنوناً بالطبع ، لكن هذا المرح جعله يحرز
نراعى ، وتقدمنى إلى سيارته ، وهو يهز رأسه من
جانب لجانب ، وقدماء تحملان جسده الثقيل بطريقة
راقصة غريبة .. واحد اثنين .. كحصان أخرق ..
راقبته يركب السيارة إلى جوار زوجته ، ثم ابتعدت
لأخون فى الأمان ، لكنه انطلق بها بسرعة رهيبية ،
واصطدم بى قبل أن أصل لركن الشارع ، وأخرج
رأسه من النافذة صائحاً :

« تعال زرنا يا مستر (مدرس) .. فلسوف تجد
الترحيب دوماً . قولى له يا (مود) ألا ترين أن
الفتى خجول ؟ »

وترددت صيحته فى المكان ، حتى توقف المارة
ليروا ما هناك .. ورأيت الوجه الصلب الجامد للزوجة
يرمقنى .. كأنها لا ترى شيئاً ، وكأن ركوب سيارة
مندفعة ليلاً فى قرية غريبة جوار زوج مجنون ، هو
أكثر الأشياء طبيعية فى العالم ..

« مساء الخير . زرنا يا مستر (تيوتور) فى
شاليه (38) ، ولكن ليس بعد منتصف الليل .. »
قالتها بصوت بلا تعبير ، فلوّح (ستول) بنراعه ،

وانطلقت السيارة تنهب الكيلومترات الباقية على
الفندق ..

ليس صحيحاً أن المقابلة أفسدت إجازتى ، وجعلتنى
راغباً فى الرحيل .. إنها نصف الحقيقة ؛ لأننى كنت
غاضباً مشمئزاً لكن من آل (ستول) فقط .

نهضت منتعشاً إلى يوم مشرق ، بعد نوم مريح ..
وقد أزمعت أن أتجاسر (ستول) وامرأته متوسطة
الذكاء . لقد خرجا فى القارب مبكراً ، وقد اعتدت أن
أتناول عشاءى مبكراً كي لا ألقاهما فى قاعة الطعام ..
كما أنهما لم يكونا من هواة التجوال ، لهذا كان
عسيراً أن أقابلهما فى الفندق ..

وحين كانا يعودان ليلاً وأنا فى الشرفة ، كنت أرى
المنظر المقرب فى يده يتجه نحو شرفتى .. عندها
كنت أتولوى ..

هكذا بشيء من الحظ يمكن أن ينسى وجودى ،
وإن كنت لا أمل فى هذا ..

لقد جئت لأرسم وأسترخى ، وقد صممت على فعل
هذا ..

حين دخلت الشرفة لأتناول الإفطار ، كان القارب عند الشاليه الخاص بآل (ستول) قد رحل .. وقررت أن أستكشف الساحل حاملاً لوحة الرسم .. حتى إذا ما امتصتني هوائتي نسيت كل شيء عن هذا الرجل ..

يمكننى الآن تخيل ما حدث لـ (جوردون) المسكين .. لقد اجتذب الهانس إلى (ستول) فى البار ، وكل الهراء الذى يقوله عن (كريت) واب (ميثلوجيا) اليونانية ، ولم يتصور (جوردون) إلا سيقرده هذا تلقى دعوة إلى الشاليه رقم (38) فقبلها ، ولا بد أنه سبح عبر الخليج ليصل هناك .. لابد أنه كان يستعرض بطولته . وفى الشاليه شرب ذلك الخليط الشيطاني المختمر الذى صنعه المضيف ، مما جعله يفقد كل وعى وحكمة ..

وحين قرر أن يعود سباحة ، كان لابد لما حدث أن يحدث .. فقط تمنيت أن يكون قد غرق فوراً دون ألم ..

إن الكتابة على البطاقة تتفق مع القصة .. تعال لرقم (38) ليس بعد منتصف الليل .. لكن الوقت قد حان كي أنسى هذا وأركز على ما أمامى ..

كان استكشافى للساحل الغربى أكثر نجاحاً مما ظننت .. لقد ابتعدت عن الفندق نازلاً من المرتفعات إلى مستوى البحر ، والأرض تتحدر نحو مستنقع جاف خبزه الشمس . لكنى حين دنوت أكثر وجدت أنه ليس مستنقاً بل مسطحات من الملح ، تحيط بها جدران شكلتها السدود ، لتسمح لماء البحر بالجريان تاركاً الملح وراءه .. ومن بعيد طواحين هوائية مهدمة ، ثم انتهت مسطحات الملح وارتفعت الأرض لتقود المضيق (سبينالونجا) ..

مشيت بـ (الفولكس فاجن) حتى وصلت إلى المسطحات ، وكان المكان مهجوراً تماماً . قررت أنه سيكون مكاني المفضل فى الأيام القادمة ..

وضعت أدوات الرسم وقبعتى على رأسى ، واندمجت

فى المشهد أمامى ، وقضيت أهم ثلاثة أيام فى رحلتى .

كان السلام شاملاً والوحدة مطلقة ، ولم أر مخلوقاً

واحداً .. كنت ألتهم الشطائر والليمونادة وأرسم ، ثم

حين تزداد الحرارة ؛ أوى إلى ظل طاحونة ، وفى

المساء أعود للفندق لأتناول عشائى ، وأقرأ ثم أنام ..

ما كان لناسك أن يتمتع عزلة أكثر من هذه ..

في ذلك اليوم قررت أن أستكشف شبه الجزيرة ، أملاً
في العثور على مشهد جديد أفضل .. تسلقت التل
وأنا أحرك قبعتي ؛ لأن الطقس كان حاراً للغاية ، وأثقل
دهشتي أن أجد أن شبه الجزيرة مجرد لسان وسط البحر .
ربما استطاع رسام عبقرى ، أن يرسم هذا المشهد
على القماش . (التركواز) يذوب في بحر (إيجيه)
الأزرق ، بينما ظلال نبيذية تحتها .. هذا بوسع رسام
عبقري ، لكن ليس هاوياً مثلي ..

نزلت لأسفل نحو مجموعة نباتات ظليلة ، حيث
أستطيع الاستراحة قليلاً ، وهنا رأيت القارب ..
كان راسياً قرب مدخل الخليج .. لقد كان قارب
آل (ستول) .. واليوناني الذي يعمل معهما يجلس إلى
المجدافين ، وقد مَدَّ خيطاً بصطاد به إلى الجانب ..
كان الوحيد في القارب ، ورأيت على رمال الشاطئ
بناية من الحجر مهدمة .. ربما كانت يوماً ما حظيرة
للخراف .. لا بد أن آل (ستول) أوقفوا قاربهم هنا ،
ودخلوا تلك البناية ربما كان (ستول) يصنع مخلوطه
المتخمّر من البلاب والـ (سبروس) هنا ، ولربما أضاف
إليه بعض فضلات الماعز على سبيل تجويد المذاق ..

فجأة نهض التوتى واتجه للدفة وراح يرمى
الماء ..

رأيت شيئاً يتحرك ثم يخرج من تحت الماء ..
نظارة غوص .. ثياب غوص مطاطية .. زعائف ..
ورأيت اليوناني يساعد الغواص على انتزاع قناعه ..
ثم استرعى نظري شيء يقف عند فتحة المبنى
المهجور ..

أقول : شيء بسبب الأعيب الضوء التي جعلته
يبدو مشعراً ، كأنه مهر يقف على قدميه الخلفيتين ..
كله مغطى بالشعر ، ثم أدركت أنه (ستول) نفسه ..
وصدره ونراعا مغطاة بالشعر .. فقط وجهه جعلنى
أدرك أنه مازال إنساناً ..

مشى إلى حيث القارب يتأود في مشيته بتلك
الطريقة العجيبة التي رأيته في المقهى أمس .. يداه
في خصره وصدره للأمام ، ومؤخرته بارزة للوراء ..
ورأيت الغواص يتجه للشاطئ الآن ، وقد تخلص
من نظارته وأسطوانة الأكسجين ، وألقى بزعايفه
على الرمال كصمك عملاق .. وبرغم القناع المطاطي
أدركت في دهشة أنه مسز (ستول) ..



وعلى كل رف كانت قطع من الخزف ، كما أخرجها أحدهم
من كومة قمامة .

تقدمت نحو زوجها ، وناولته حقيبة جلدية صغيرة ،
فأخذها وعاد إلى المبنى المهجور ..

جلست أنتظر .. سأعطيها عشرين دقيقة ثم أعود ..
لكنهما لم يتركاى كل هذا الوقت . سمعت صيحة ،
ثم رأيت الزوجين يصعدان إلى القارب حامنين سلالاً
وأدوات الفطس ، وبدأ اليونانى تشفيل المحرك ..
وسرعان ما اتجه القارب إلى البحر بعيداً عن الخليج ..
كان فضولى قاهراً ، فارتلقت فوق الرمال نحو
المبنى المهدم ..

كان كما توقعت حظيرة للماعز ، فالأرض ملأى
بفضلاتها .. زجاجات فى كل مكان ورفوف خشبية تم
تشبيتها .. وعلى كل رف كانت قطع من الخزف ،
كأنما أخرجها أحدهم من كومة قمامة .. لكنها كانت
نظيفة لا يكسوها غبار ..

واضح أن هذه كنوز تم استكشافها تحت الماء .
لا بد أن هذه القطع الخزفية عديمة النفع ، لذا لم تبال
المرأة ولا زوجها بالتخلص منها ..
لست خبيراً بهذه الأشياء ، لهذا لم أر ما يثير
اهتمامى ، وتركت المكان ..

كانت هذه حركة مميتة . لأننى إذ تسلقت المنحدر

سمعت صوت محرك ، وعاد القارب نحو المكان ..
 كانت الثلاثة رؤوس تنظر لى ، والشخص وراء
 الدفة يرمقنى بمنظار مقرب .. لن يجد عسراً فى
 معرفة المتسلل .. واصلت التسلق برغم هذا ، وقبعتى
 فوق حاجبى ، آملاً أن أدارى نفسى .. ربما حسبونى
 أى سائح تواجد هنا بالصدفة ..
 منها متقطع الأنفاس هرعت إلى سيارتى وأدبتها ،
 وتمنيت لو لم أستكشف هذا الموضع قط . سيحسبون
 أننى كنت أتجسس عليهم وهذا حقيقى .. لقد فسد
 مزاجى فلن أستطيع الرسم اليوم
 وكان حظى عاثراً لأن إحدى عجلات السيارة فقدت
 هواءها ، فرحت أثبت (الاستين) واحتاج هذا إلى
 أربعين دقيقة ، لأننى سبىء فى كل عمل يدوى ..
 ووصلت للفندق بعد وصول آل (ستول) طبعاً ..
 وحين خرجت إلى الشرفة وجدت (ستول) فى شرفته
 يسلط نظارته المقربة إلى الثماليه الخاص به ..
 أغلقت خصاص الشيش ، ودخلت لأخذ حماماً حين
 دق جرس الهاتف ..

بدأى مبتليان والمنشفة حول وسطى .. ما كان
 الهاتف لينق فى وقت أسوأ .. جاء للصوت من الهاتف :

- « أهذا أنت يا سيد (مدرس) ؟ »
 كان صوتاً لا يمكن أن أخطئ فيه .. وبخشونة
 أجبت :

- « أنا (تيموتى جراى) .. »

- « (جراى) أو (بلاك)^(*) .. كل شيء يتساوى ..
 أنت كنت فى (سبينالونج) عصر اليوم . هل هذا
 صحيح ؟ »

- « لا أرى سرّاً اهتمامك .. »

- « اصمت .. لن تخدعنى . أنت كالأخر .. مجرد
 جاسوس .. ودعنى أقل لك : لقد تم تنظيف حطام
 السفينة منذ قرون .. »

- « أى حطام ؟ »

- « حسن حسن يا (مدرس) .. لن نختلف حول
 هذه النقطة .. إننا من نفس النوع على كل حال .. إن
 المدرسين وأساتذة الجامعة والمحاضرين كلهم
 يتشابهون تحت جلدهم وفوقه أحياناً ! لا تخف .. لقد

(*) يقصد لسفريه منه (جراى) معناها : (رمادى)

و (بلاك) معناها : (أسود) .

قلت إننى أُميل لك هل تريد شيئاً لمتحف مدرستك ؟
شيئاً تريه لزملائك والطالبات الحسنات ؟ حسن .
إن هذا الشيء لذى .. يمكنك المجيء النيلة وسأقدم
لك هدية .. سيكون عندنا حفل بهيج ، فزوجتى تميل
لك أيضاً .. »

انزلت منشفتى إلى الأرض ، وشعرت لسبب ما
أننى هش جداً .. كان صوته يخيفنى ، وقلت له :
« مستر (ستول) .. أنا لا أجمع أشياء
للمتاحف .. أنا هنا فى إجازة لمتعتى الخاصة .
وبحق لا أملك أية نية لزيارتك .. »
ووضعت الساعة وعدت إلى الحمام . ياله من
رجل كرية !

هل يتركنى وحدى أم يظل يراقب شرفتى ، حتى إذا
ذهبت إلى قاعة الطعام تبغى إلى هناك ؟ يريد أن
يبتاع صمتى لقاء هدية .. إن رحلاته للصيد ليست
سوى غطاء يدارى به اكتشافاته تحت الماء ، ولا بد
أنه وجد أشياء مهمة يزمع تهريبها خارج (كريت) ..
لا بد أنه فعلها فى العام السابق . لكن الأمر لم يتم
كما هو مفترض هذا العام .. إن (تشارلز جوردون)

الذى سبقنى فى هذا الشائيه ، قد ارتاب فى الأمر ..
(أنت مثل الآخر) لقد قالها (ستول) .

لا بد أن (جوردون) تلقى دعوة إلى الشائيه
رقم (38) ، وهناك عرضت عليه رشوة . ترى هل
رفض ؟ هل هدد بإفشاء السر ؟ هل غرق فى حادث
حقاً ، أم أن الزوجة تابعت تحت الماء وجذبت
لأسفل ؟

كنت أعرف شيئاً واحداً لا قوة فى العالم ترغمنى
على الذهاب إلى شائيه (ستول) ، ولو حاول تهديدى
سأحكى كل شيء لإدارة الفندق ..
لترديت ثيابى للعشاء ، ووقفت أرمى الشائيه
الخاص بـ (ستول) .. كان الضوء مرئياً ، لكنه
لم يكن هناك ..

اتجهت لحديقة الفندق ، وفجأة رأيت (ستول)
وزوجته يجلسان كأنما يحرسان الطريق إلى حجرة
الطعام ..

كان على أن أمر بهما على أكل .. ليكن ! يمكنكما
البقاء هنا طيلة الليل .. عدت إلى الشرفة ، ودرت
حول الفندق ومررت بالمطابخ ، حتى خرجت إلى موقف

السيارات .. سأتناول عشائي بالخارج ولتذهب النفقات إلى الجحيم ..

اتجهت بسيارتي إلى حافة بعيدة .. كنت جائعا ، لكن كان علي أن أكتفى - بدلا من وجبة الفندق الدسمة - بقرص عجة وبرتقالة وقدر قهوة ..

وبعد العشاء عدت إلى الفندق ، وشققت نفس الطريق إلى الشاليه ، الذي دخلته متسللا كالمص .. كان الضوء ما زال في شرفة (ستول) وواضح أنه بالداخل الآن ..

خلعت ثيابي ووقدت في الفراش أقرأ حتى ما بعد منتصف الليل .. داعب النعاس عيني فأطقت الضوء ، واتجهت لأفتح الشيش لأجند الهواء قليلا .. للحظة رحت أنظر عبر الخليج . لم يكن ثمة ضوء في المكان إلا من شرفة (ستول) .. ثم رأيته .. أعني : رأيت أبواب الهواء .. رأيته في الضوء الشاحب ثم اختفى ، لكنني عرفت أنه متجه إلى الصخور تحت الشاليه الخاص بي ..

وساد الصمت .. لربما كانت تفعل هذا كل ليلة . لربما كان هذا روتينها .. وأنا نائم لا أرى بشيء

كانت هي في المياه تحت صخور الشاليه .. فكرة غير مريحة .. تخيل أنها كل ليلة - بعد منتصف الليل - كانت ترتدي ثياب الغطس وتتجسس على الشاليه رقم (62) .. وفي هذه الليلة بالذات بعد مكالمتي مع زوجها ، كان وجودها قريبا شينا مرجفا ينذر بالخطر .. فجأة من الظلام على يميني لمحت أبواب التهوية أقرب لي ..

أصابني الذعر ، فعدت لفرقتي وأغلقت الشيش .. وقفت وفهرى للحائط بين غرفة النوم والحمام ، أصفى .. بدا لي أن دهرا مضى قبل أن أسمع الصوت الذي توقعته وهبته ..

صوت خفيف في شرفتي .. احتكاك يدين .. وتنفس ثقيل ..

وعرفت أنها هناك . عرفت أنها تمسك بسقاية الشيش ، والماء يتساقط من رداها المطاطي . وحتى لو صرخت : ماذا تريدان ؟ فلن تسمعي .. فهي لا ترتدي جهاز السمع تحت الماء .. بدأت تفرع على الشيش فلم أهد حراكا .. قرعت ثانيا .. ثم دقت الجرس ..

اخترق الرنين الهواء كأنه مثقاب طبيب الأسنان
فوق عصب .. ثلاث مرات ثم ساء الصمت .. لا دق
على الشيش ولا رنين ..

لا بد أنها تنتظرني في الشرفة - والماء يسيل من
ردائها المطاطي - حتى أفقد صبري وأخرج لها ..
اتجهت إلى الفراش وأضأت المصباح ، متوقفا أن
أسمع الطرقات على الشيش فلم يحدث شيء . نظرت
إلى ساعتى فوجدت أنها الثانية عشرة ونصف
جلست على فراشى وخوفى من هذا الشيء الأسود
يتزايد لحظة فلحظة وما زاد من هلعى هو أن
صاحب الرداء الأسود كان أنشئ ، وهو شيء غير
منطقي

ماذا تريد منى ؟

مرت ساعة حتى استعدت صوابى .. لا بد أنها
رحلت .. نهضت إلى الشيش وأصخت السمع ، ثم
برفق فتحت السقاية .. لا أحد هناك ..

خرجت من الشرفة المظلمة ، ورأيت بركة الماء
الصغيرة على الأرض دليلا على الشيء الذى كان هنا
منذ ساعة ، وأثار الأقدام التى عادت من الشرفة إلى
الصخور ..

تنفست فى راحة .. الآن يمكن أن أنام فى سلام .
عندها رأيت الشيء عند قدمى . الحنيت والتقطته
فوجدته عبوة صغيرة ملفوفة فى قماش عازل
للماء .. عدت به إلى الفراش ورحت أتفحصه ،
وغامرني شك أحمق فى القابل .. لكنى استبعدته ..
فبالتأكيد تكفى رحلة تحت الماء لتعطيل أية قبلة .

تذكرت المثل القديم : (خذ حنرك حين يهديك
اليوناني شيئا) .. لكن ال (ستول) لم يكونا
يونانيين . وحتى لو وجدا (أطلنطس) نفسها ،
فإن المفرقات لم تكن قط جزءا من كنوز القارة
المختفية ..

فتحت النفاذة بمقص أظفار .. كان الشيء ملفوفا
بشبكة دقيقة ، وحين مزقتها وجدته دورقا صغيرا
أحمر اللون ، له مقبضان على الجانبين . لقد رأيت
شيئا كهذا من قبل ، وأعتقد أن اسمه الصحيح
هو (رايتون) ، وكنت أراه فى المتاحف ..

أما جسم الدورق فكان منحوتا بدقة على شكل
رأس إنسان ، له عيانا جاحظتان ، وشارب يتدلى
إلى لحية صغيرة هى قاعدة الدورق .. وفى أعلاه

كانت أشكال لثلاثة رجال يتبخثرون ، لهم نفس
الوجوه التي رأيتها على الدورق للوجه الكبير .. لكن
أقدامهم كانت حوافر ماعز ، وفي مؤخرة كل منهم
ذيل حصان ..

نظرت لداخل الدورق فوجدت وريقة بالقاع .. كانت
بطاقة كتب عليها :

— « (سولينيوس) : ساتير أرضى هو نصف
حصان ونصف إنسان ..

لم يميز ما بين الحقيقة والزيف ، اتبع
(ديونيسيوس) سيد السكر وصار معلمه ونديمه في
الشراب « (*)

كان هذا كل شيء .. لا شيء أكثر .. أعدت الورقة
إلى الدورق ، وأبعدت الدورق إلى آخر الغرفة ،
وغطيته بسترتي كي لا أرى الوجه الساخر المزعج ،
وعدت إلى الفراش ..

(*) الساتير وحش يوناني خرافي يشبه الماعز التي تمشي
على قدميها الخلفيتين ، ويصرب به المثل في الرجل الحيواني
الشهواني . أما (ديونيسيوس) فهو : (باكوس) إله الخمر عند
اليونان

في الصباح سيكون علي أن أغلفه ، وأطلب من
الساقى أن يأخذه ليعيده إلى الشاليه رقم (38) ..
يستطيع (ستول) أن يحتفظ بهذا (الرايتون) - الذي
لا يعلم سوى الله (سبحانه وتعالى) كم يساوي -
فأنا لا أريد شيئاً منه ..

مرهقاً ، غرقت في النوم ، لكن - رباه - لم أنس
شيئاً .. إن الأحلام التي زلرتني والتي حاولت أن
أصحو منها ، تنتمي لعالم مجهول آخر ، اشتبك بعالمي
بشكل مربع .. لقد بدأ الصف الدراسي ، لكن المدرسة
التي كنت أعمل فيها كانت محاطة بالأدغال ، وفوق
قمة جبل .. أما طلبتي فكانوا وجوها مألوفة يضعون
غصون الغار في شعورهم .. ولم يكن الرجل وسطهم
هو أنا ، بل كياناً شيطانياً خرج من الدورق ، يتبختر
كما فعل (ستول) في (سبينالونجا) ..

صحوت بعد ما بدا لي قروناً ، وضوء الشمس
يفمر الشاليه ..

كان عقلي ينبض ، وشعرت بفثيان وإرهاق ..
نظرت عبر الخليج ، فوجدت القارب في المرفأ . إن
آل (ستول) لم يذهبوا للصيد ..

أخذت الدورق ولففته بعناية ، وحين جاء الساقى
بالإفطار إلى الشاليه ، سألته أن يسدى لى خدمة ..
- « أريد أن تذهب لشاليه مستر (ستول) .. أرى
أنه لم يخرج للصيد اليوم .. »
- « هذا ليس مستغرباً .. لقد رحل آل (ستول)
هذا الصباح .. »

- « أرى .. وهل تعرف متى يعودان ؟ »
- « لن يعودا يا سيدى لقد عادا لوطنهما
إتھما منطلقان الآن فى الطريق إلى مطار (أثينا) ،
والقارب الآن متاح لو أردت أن تستأجره .. »
وانصرف ، وظل الدورق فى مكانه جوار صحيفة
الإفطار ..

ازدادت الشمس شراسة فى غرفتى .. سيكون يوماً
حاراً حقاً ..
لم أكن فى مزاج يسمح بالرسم ، وكنت مرهقاً
بفعل أحلام الليل . لقد رحل آل (ستول) لكنهم تركوا
لى تركتهم .. كشفت الدورق من جديد وتفحصته ..

لم يكن تشابه الوجه المريع مع (ستول) وهما بل
حقيقة . ربما لهذا تخلص منه بإعطائه لى .
وبالتأكيد كان سيجد متاعب كثيرة ليمر به من
الجمارك ، وعقوبة التهريب شنيعة الآن . لكنى
متأكد من أن له معارف هناك يسهلون له الخروج
بكنوزه ..

تذكرت مظهر (ستول) فى (سبينالونجا) حين
خرج من البناية المهدمة . بدا لى وقتها كنصف
إنسان ونصف حصان . كان شبيهاً بـ (سيلينيوس)
نديم (ديونيسيوس) .. كان الدورق مفزعاً بحق ..
ترى هل فهم الرجل حيواتيته بعد فوات الأوان ؟
يقول السقا هنا : إن (ستول) لم يكن بهذه البشاعة
من قبل .. ترى هل هناك ما يربط بين تغيره وعثوره
على هذا الدورق ؟ شيء واضح جداً ..

يجب التخلص من هذا الشيء ولكن كيف ؟ لو
سلمته للإدارة قلن يصدق أحد قصتى .. هل ألقيه فى
البحر أو فى جزيرة ما ؟ إنه (رايتون) عمره قرون ،
وثمنه لا يقدر بمال ..

لففته بحذر واتجهت إلى الفندق ..

طلبت من الساقى فى البار بعض المياه المعدنية ،
فسألنى :

- « لا حملات استكشافية اليوم يا سيدى ؟ »

- « ليس بعد .. »

- « لدى شيء لك .. »

ومذ يده لى بزجاجة صغيرة فيها ما بدا لى
كليمون .. وقال لى :

- « تركها لك مستر (ستول) مع تحياته .. »

نظرت إليها فى شك ، فابتسم وقال :

- « يبدو أنها من الشراب الذى كان يصنعه
لنفسه .. إنه غير مؤذ .. فقد جربت وزوجتى زجاجة
منه .. مذاقه يذكرك بالليمون .. »

وصب لى قليلاً منه فى المياه المعدنية قبل
أن أطلب .. غمست إصبعى وتذوقت قطرة .. كان
له مذاق ماء الشعير ، الذى كانت أمى تعده لى وأنا
طفل .. له طعم مكرى خفيف ..

- « فى صحة مستر (ستول) .. »

وشربت الكوب على حين قال الساقى :

- « إن خير ما تفعله مسز (ستول) هو أن تأخذ
زوجها إلى المستشفى .. إن زوجها مريض وليس
ثملاً فقط .. »

- « ماذا تعنى ؟ »

ضرب على جبينه ، وقال :

- « شيء خطأ هنا .. أنت ترى بنفسك كيف
يتصرف .. »

بدا مذاق الماء المعدنى أفضل لى الآن . وسألته :

- « ما عمل (ستول) ؟ »

- « يقول إنه يدرس الكلاسيات فى جامعة أمريكية
ما .. لن نعرف أبداً .. لقد دفعت مسز (ستول) كل
الفواتير هنا ، وبدا واضحاً أنه يعتمد عليهما .. وإبنى
لأنساعل .. هذه المرأة تعاني كثيراً من العذاب معه
لقد رأيتها تنظر له أحياناً ولم تكن نظرة حب قط .. »
طلبت مزيداً من المياه المعدنية ، فالحز جعلنى
أشعر بالظماً ..
سألته :

- « هل هناك أماكن مجهولة فى الخليج ؟ »

- « لا أعتقد يا سيدى .. ربما كانت هناك .. لكنى

لا أحسب هناك أماكن لا تعرفها الحكومة هنا .. »

- « وماذا عن حطام السفن ؟ السفن التي غرقت
ورقدت في قاع البحر .. »

هز كتفيه ، وبحذر قال :

- « هناك إشاعات .. قصص عبر السنين ، لكنها
خرافات ولن أصدقها ، ولا أعرف واحدا متعلما
يصدقها .. »

ثم صمت قليلا وراح يلعب كوبا .. فسألته :

- « تكلم .. »

- « أحيانا يجد البعض أشياء عظيمة القيمة ، يتم
تهريبها خارج البلاد أو بيعها داخل البلاد للخبراء
بثمان غال ، لو كان الأمر خطرا .. إن لدى ابن عم
يعمل في المتحف الوطني ، ويملك المقهى عند
(البركة التي لا قاع لها) .. كان (ستول) يذهب
هناك كثيرا .. اسمه (بابيتوس) ، والقارب الذي
يستأجره مستر (ستول) يخص ابن عمي .. لكنك
لست من هواة جمع التحف يا سيدي ، ولا تهتم
بالآثار .. »

- « لا .. لا أهواها .. »

ونهضت ، وتمنيت له يوما طيبا ، وتساءلت
لو كان يرى بروز الشيء في جيبي ..

كان الفضول يدفعني إلى رؤية شاليه (ستول) عن
قرب .. دنوت منه فلم أر أثرا للقائنين السابقين ،
ولن ينتهي اليوم قبل أن تسكنه أسرة إنجليزية ..

نظرت عند هذا الشاليه إلى الشاليه الخاص بي ،
وهي المرة الأولى التي أراه فيها من هنا .. بدا لي
أقرب مما ظننت ، ولا عجب في أن حسبني (ستول)
متطفلا أو جاسوسا ، وربما شخصا جاء من (إنجلترا)
ليحقق في مصرع (جوردون) ..

هل أرسل لي (ستول) الدورق على سبيل التحدي ،
أم على سبيل الرشوة ، أم على سبيل اللعنة ؟
رأيت رجلا يونانيا عجوزا أسمر ينظف جانب
القارب ، الذي كان (ستول) يركبه .. تذكرت ابن
عم ساقى البار ، واسمه (بابيتوس) .. سألت الرجل :

- « هل أنت صاحب القارب ؟ »

- « (نيكولاس بابيتوس) صاحب القارب هو أخي ..

هل تريد استجاره ؟ لا ربح وبحر هادئ .. »

- « لا أريد الصيد ، لكن لا بأس بجولة لمدة

ساعة .. كم تكلف ؟ »

حسب الأمر بالدراخمة ، وقمت بإجراء الحسبة ..
وجدت أنها لا تريد عن جنيهاين في الساعة ، وبالتأكيد
يتضاعف المبلغ لو قصدت (سبينالونجا) .. فتحت
حافظتى لأرى ما إذا كانت لدى عملات كافية ..

قال لى وأنا أعد المال وقد قرأ أفكارى :

- « إن التكلفة تذهب إلى فاتورة الفندق .. »

أنهى هذا ترددى .. سحقا لهذا وليكن ما يكون ..

وهكذا استأجرت القارب لمدة ساعتين مع الرجل ،

ورحت لأول مرة أرمق خط الشاليهات من البحر ..

قررت أن أتجه إلى الموضع الذى كان (ستول)

فيه ، وحيث كانت زوجته معتادة الغطس ..

راحت المجاديف تضرب المياه ، بينما شبه جزيرة

(سبينالونجا) تتبدى أمامنا .. الحصى يلتصق على

الشاطئ كالجواهر ، والأسام تداعب أمواج الخليج ،

بينما القارب يطوف ببطء .. وفكرت فى مسز (ستول)

التي كانت تفر إلى الأعماق من زوجها ، وكان الكنز

هو العذر .. لكنها - فى القاع - كانت تفر من حياة

لا تطاق ..

ثم نظرت إلى التلال فرأيت شيئا يلعب .. كان

شعاعا من الشمس يلتصق على الزجاج ، والزجاج
يتحرك .. ثمة من يراقبنى بمنظار مقرب .. نظرت
بدقة فرأيت شخصين يتعدان عن الحافة لكنى
ميزتهما فى الحال ..

أحدهما كان مسز (ستول) ، والآخر هو تابعها

اليونانى .. ونظرت إلى النوتى الجالس معى فوجدته

لم يلحظ شيئا ..

والآن فهمت .. لقد عادت مسز (ستول) مع

اليونانى إلى البناية العتيقة لإخلاها من البقايا ،

والآن انتهت مهمتهما وسوف يعودان إلى المطار

ليلحقا بطائرة (أثينا) .. وماذا عن (ستول) ؟ لا بد

أنه نائم فى السيارة ينتظرهما ..

جعلتنى رؤية المرأة من جديد أفقد الحماس لحملتى ،

وتمنيت لو لم أقم بهذه الجولة قط .. كنا الآن نسبح

فى مياه ضحلة للغاية ، مياه رمادية اللون .. رحت

أرمقها وقد غطيت عيني بيدي ..

فجأة رأيت الهلب الصدى ، وقد تراكمت فوقه

الطحالب وآثار القرون التى مرت حيث هو .. كان

تحت الماء .. ومعه رأيت بقايا السفينة العملاقة

المهشمة منذ أن طويل .. كان (ستول) محققاً ، لقد تم
تنظيف الحطام منذ قرون .. لا آنية ولا عملة تلتصع ..
ترجرج الماء بفعل الأسماك ، ثم صفى ثانياً ..
قرأيت جسداً بشرياً يفرد ذراعيه ، وقد ربطت ساقاه
إلى الهلب الآخر .. وكانت حركة الماء تعطيه حياة
خاصة كأنما يقاتل من أجل الخلاص بلا جدوى .. فقد
كانت ساقاه مثبتتين بإحكام ..

لسوف تمر أيام طويلة حتى يذوب اللحم ، تاركاً
الشكل الخارجى فقط ..

كان الجسد جسد (ستول) .. وقد صار جذعه غير
أدمى وهو يتأرجح إلى الأمام والخلف مع التيار ..
نظرت إلى التل مرة أخرى ، لكن الشبهين اختفيا
منذ زمن .. وفى لمحة التمع تفسير ما حدث لى ..
لقد كان (ستول) هنا يتختر كعادته ، وفجأة
ضرباه ليفقد الوعي ، وجراه من قدميه إلى الماء ،
وكانت زوجته هى التى أخذته تحت الماء لتثبت قدميه
للأبد فى الهلب .. تحتى ..

كنت الشاهد الوحيد على مصيره ، ولا تهم
الأكاذيب التى ستحكىها حين تعود .. فلسوف ألزم

الصمت .. لم تكن تلك مسئوليتى .. لربما طاردنى
الشعور بالذنب ، لكن ليس على أن أتورط فى هذا ..
سمعت من يشهق جوارى ، ثم عرفت أنه أنا ..
أشهق رعباً وخوفاً ، وضربت الماء بالمجدافين عازماً
على الابتعاد ..

إذ فعلت هذا ، أخرجت الدورق من جيبى وبذعر
طوّحت به فى الماء ..

لم يفرق حالاً بل ظل يتأرجح على الماء ، ثم ببطء
امتلاً بالبحر الأخضر الشفاف ، ونظرت لى العينان فى
الوجه المنتفخ ، لم تعودا عيني (سيلينيوس)
المساتير بل هما عيناى أنا ، كما ساراهما يوماً ما فى
مرآة ..

بدا أنهما تحويان فى أعماقهما كل الحكمة ، وكل
الفتوة .

داغنى دومورييه

١٩٧١

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية جديدة



لا تنظري الآن !

كساحر لا يكف عن إبهارنا لحظة ، تأخذنا
(دافني دومورييه) من قصة غريبة غامضة إلى
قصة أعرب وأكثر غموضاً .. ساحرتان عجوزان
تسيطران على زوجة أضناها الألم .. مهندس
إلكترونيات شاب يتورط في تجربة غامضة تتعلق
بالموت والحياة .. مدرس يهوى الرسم لا يختار
لإقامته سوى الشاليه رقم (62) ، الذي يهايه
الحمى .. لكن أحداً لا يتكلم عن سره المخيف ..

30

قراءة مجانية

٢,٥٠

العدد القادم

جزيرة الدكتور مور

الشمس في
وما يقابلها بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم

